التقوى

المجلد ٣٠ - العدد ٢
رمضان وشوال ١٤٣٨ هـ، حزيران / يونيو ٢٠١٧

النَّيِّرَانِ بِهَذِهِ البُلْدَانِ خُسِفَا بِإِذْنِ اللَّهِ فِي رَمَضَانِ

* الصِوم.. محطة على خارطة السِير الروحاني
* شهر رمضان ربيع وحي السِماء
* الاستقامة فوق الكرامة
* الصِوم والصِيام.. دلالات لغوية

رَمَضَانُ كَرِيمٌ
بِمُنَاسَبَةِ حُلُولِ الشَّهْرِ الفَضِيلِ نَزُفُّ
إِلَيْكُمْ أَسْمَى آيَاتِ التَّهَانِي وَالتَّبْرِيكَاتِ.
أَعَادَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ
بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ.
وَكُلُّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ

التقوى

المجلد الثلاثون، العدد الثاني

رمضان وشوال ١٤٣٨هـ ، حزيران/ يونيو ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إسلامية شهرية تصدر عن المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية في لندن، بريطانيا.

البريد الالكتروني: altaqwa@islamahmadiyya.net

موقعنا عبر شبكة الإنترنت: http://www.islamahmadiyya.net

٢ - ٣	الصيام.. محطة على خارطة السير الروحاني	كلمة التقوى
٤ - ٧	حنو النعل بالنعل	في رحاب القرآن الكريم
٨	من نفحات أكمل الخلق سيدنا محمد المصطفى ﷺ	أحاديث نبوية شريفة مختارة
٩	الصيام وبركاته	مقتبس من كتابات سيدنا المسيح الموعود عليه السلام
١٠ - ١٧	الاستقامة فوق الكرامة.. رمضان والدعاء، والعلاقة الخاصة	خطبة الجمعة
١٨ - ٢٠	الموعودان: المسيح، وذات رمضان	محمد مصطفى
٢١- ٢٣	شهر رمضان.. ربيع وحي السماء	حلمي مرمر
٢٤ - ٢٨	حاجتنا إلى الطعام وفلسفة الغناء والصيام	سامح مصطفى
٢٩ - ٣٠	سيرة المهدي ج ٢ (ح ١٦)	مختارات من سوانح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام
٣١ - ٣٢	كنز المعلومات الدينية	الداعية محمد أحمد نعيم
٣٣ - ٣٤	المساعي المشكورة	فضاء الأقلام الواعدة
٣٥ - ٣٦	فسحة لغة	الصوم والصيام

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

التوزيع

مظفر أحمد

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

جميع الاتصالات والمراسلات تُوجَّه إلى العنوان التالي:

The Editor Al Taqwa, P.O.Box 54094 London SW19 3XF, United Kingdom

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة

تكتب الحوالات المصرفية والبريدية باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

الصِّيَامُ..
مَحَطَّةٌ عَلَى خَارِطَةِ السَّيْرِ الرُّوحَانِيِّ

ككل بنيان عظيم، فإن الإسلام له أركانه التي يرتفع عليها، بحيث تشكل تلك الأركان في مجموعها أساسا يقوم عليه بنيان الدين ككل. وطالما أسيء فهم هذه القضية، بحيث وقع خلط بين الدين وأركانه، فظُنَّ أن أركان الدين الخمسة هي الدين نفسه. بينما الإسلام الذي من معانيه إسلام النفس وتأدية الأمانة لله تعالى لا يقوم إلا بعد تحقق أركانه الخمسة المنصوص عليها.

الصيام أحد أركان الدين، وجاء ذكر فضائله في القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة. وبه يقطع المرء شوطا في سيره الروحاني إلى خالقه ﷻ.

والصيام سرٌّ للتقوى وينبوع للهداية، ويعلم الجميع أن الأمم والأقوام من قبلنا قد عرفوا الصيام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، فلا بد إذًا أن لهذه الشعيرة من الخصوصية ما استدعى ذكرها بهذا الأسلوب في التنزيل الحكيم.

ومن عِظَم أمر الصيام أن جعله الله تعالى مرتبطا بالتقوى، بل وسيلة لها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.. إذًا، فبالصيام تتحقق التقوى، والتي بها تحصل الهداية بالضرورة. ولقد تجلت بركات الصيام في شخصيات دينية عديدة عبر تاريخ الإسلام. وفي آخر الزمان في القرن الرابع عشر من الهجرة تجلت بركات الصيام في شخص المسيح الموعود عليه السلام حين قضى مدة معتكفا صائما فتلقى في تلك الأثناء من الرؤى والكشوف والإلهام الواضح ما ننعم به الآن ونرتوي.

وينطوي الصيام على حكمة بالغة أخرى، وهي الامتناع عن السبب الظاهري في البقاء، أعني الغذاء ومشبعات الشهوات بوجه عام، فثنائية (الأكل/الصيام) تنطوي على مقابلة من نوع عجيب، ففي حين أن فعل الأكل يشكل لازمة من لوازم المخلوق، نجد الصيام فعلا يجعل الإنسان متشبها بالله جل في علاه على نحو ظلي، وإن كان ذلك في نطاق ضيق ومؤقت. فكما أنه تعالى الصمد، وبما أنه قد خلق الإنسان على صورته ومثاله، فقد أراد (ﷻ) أن يتشبه عبده بصفاته التشبيهية على نحو ظلي، وهذا من مقتضيات العبادة الحقة، إذ لا معنى للحب إن لم يتشبه المحب بالمحبوب، والعبادة كما يعرف العارفون أسمى من الحب وأرقى. فالمرء في حالة الصوم يكون متشبها بربه تعالى على نحو ظلي، فيكون من نتائج ذلك التشبه المحمودة نشوء صيغة اتصال بين المعبود سبحانه وتعالى وعبده، ويتمثل هذا الاتصال في زيادة القوى الكشفية

فالصيام محطة على خارطة الوصول إلى الله تعالى (الفلاح).... فلاح المؤمن والمتمثل في وصوله إلى الله تعالى مرهون بصيامه، حتى أن الله تعالى جعل نفسه جائزة للصائم إيمانا به واحتسابا له سبحانه وتعالى.

لدى الصائم، وفي هذا الصدد نذكر للمسيح الموعود عليه السلام بيتا من قصيدة عربية يقول فيه:

«عَرِيفٌ فَرْسُ نَفْسِي عِنْدَ حَرْبٍ وَيُدْرَى السِّرُّ مِنْ شَدِّ البِطَانِ»

فيبين فيه حضرته أن سر إخضاع النفس الذي يترتب عليه انطلاق قوى الروح الكشفية يكمن في شد البطان، ومن أحد مظاهرها الصيام. فالصيام محطة على خارطة الوصول إلى الله تعالى (الفلاح)، وقد جاء في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزَى بِهِ»، ويظهر من خلال هذا الحديث أن فلاح المؤمن والمتمثل في وصوله إلى الله تعالى مرهون بصيامه، حتى أن الله تعالى جعل نفسه جائزة للصائم إيمانا به واحتسابا له سبحانه وتعالى. لقد بينت لنا أوائل سورة «المؤمنون» خارطة الوصول إلى الله تعالى، ذلك الوصول المعبر عنه بالفلاح بدءا من قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، واسترشادا بتلك الخارطة المباركة يظل المرء يعرج في مدارج الترقي نحو الله عز وجل، وبوصوله إلى درجة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ يكون قد حصن ثغوره وفروجه ضد هجمات النفس الأمارة التي تتغذى كالحية السامة على قاذورات وأوساخ الشهوات والذنوب، ومن المعلوم أن حفظ الفروج هنا تعبير جميل عن الصوم الذي هو في الأصل سدٌّ لجميع الفروج التي هي منافذ الشهوات.

لقد خلق الله الإنسان ضعيفًا ليكون ضعفُه دافعًا إلى خضوعه على عتبات خالقه، كي يلوذَ بحماه ويلجأ إليه. فالضعف في الإنسان وسيلةٌ وليس هدفًا، وسيلةٌ لتوجيهه إلى باب خالقه، وسيلةٌ لإقباله على الله سبحانه وتعالى. لو خُلق الإنسان قويًا لاستغنى بقوته عن الله، فشقِيَ باستغنائه. ففي ضعف الإنسان تكمن سعادته ونجاته إذا خرَّ أمام خالقه. وتحديدا يمنح هذا الشهر الفضيل فرصة ذهبية متجددة كل سنة كي نُعرب عن ضعفنا لخالقنا كي يأتي لنجدتنا من سطوة ذئب النفس الأمارة وشهواتها، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.

جعلنا الله وإياكم ممن يجنون بركات الوقوف على هذه المحطة ويلتحقون بمن سبقونا في وصال البارئ عز وجل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

حِذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢﴾

(بني إسرائيل)

من تفسير: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رضي الله عنه

الخليفة الثاني لحضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

سورة بني إسرائيل

مكية، وهي مع البسملة مائة واثنتا عشرة آية واثنا عشر ركوعًا.

سبب تسميتها:

تسمّى هذه السورة «بني إسرائيل»، لأنها تقصّ علينا أحداث الأمة الإسرائيلية منبئةً أنه سيأتي على المسلمين ما أتى على بني إسرائيل. ذلك أن الله تعالى كما اعتبر نبينا مثيلاً لموسى عليهما السلام، فقد اعتبر الأمة الإسلامية مثيلةً للأمة الإسرائيلية، فكان لا بد أن يمر المسلمون بأحداث مماثلة لأحداث اليهود؛ وإلى هذا الأمر تلفت هذه السورة الأنظارَ.

مع الملاحظة أن هذه السورة قد تناولت أحداث الجزء الأول من التاريخ الإسرائيلي فقط؛ أي مِن زمن موسى حتى زمن عيسى عليهما السلام.

ومن أسماء هذه السورة «الإسراء»، لأنها استهلّت بذكر حادث الإسراء، ولأنه موضوعها الأساسي.

زمن نزولها:

إنها مكية بالإجماع عند البعض، بينما اعتبر الآخرون آياتٍ منها – يتراوح عددها ما بين آيتين إلى ثمان – مَدَنيةً. (البحر المحيط). وروى ابن مردويه عن

ابن عباس وابن الزبير أنها مكية، وأنها مما نزل في أوائل الفترة المكية.. أي في السنة الثالثة أو الرابعة.

وورد في البخاري عن ابن مسعود أنه قال في السور بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن مِن العِتاق الأُوَل، وهُنَّ مِن تِلادي» (البخاري: كتاب التفسير).. أي أنها من السور التي نزلت في بداية البعثة، والتي حفظتُها عن ظهر قلب في أوائل أيام إسلامي.

يبدو من قول عبد الله بن مسعود أن هذه السورة مكية كلها أو بعضها، ولكن لا نعرف بالتحديد أيّ سنة يقصدها ابن مسعود ﷺ من الفترة المكية.

وعندي أن السورة ليست مما نزل في أوائل الفترة المكية، بل يمتد زمن نزولها من السنة الرابعة إلى الحادية عشرة، شريطة أن لا تكون الذاكرة قد خانت ابن مسعود، وإلا فأرى أن هذه السورة كلها نزلت ما بين السنة العاشرة إلى الحادية عشرة، بل ربما في السنة الثانية عشرة.

كما أن المستشرقين المسيحيين قد حدّدوا زمن نزولها ما بين السنة السادسة إلى الثانية عشرة قبل الهجرة (تفسير القرآن لـ «ويري»). ومن تصرفات القدر أن الله تعالى جعلهم ينطقون بالحق هنا، وإلا فإن ما يكنّونه من نوايا خبيثة ضد القرآن ما كان ليتحقق إلا إذا اعتبروا هذه السورة مدنية.

ومن أسماء هذه السورة «الإسراء»، لأنها استهلّت بذكر حادث الإسراء، ولأنه موضوعها الأساسي.

الترابط:

وتتمثل علاقة هذه السورة بالتي قبلها في أن سورة النحل قد تنبّأت بازدهار المسلمين، مؤكّدةً أنهم سينالون مُلكًا عظيمًا. كما ذكّرتهم بتنكُّر اليهود لنعم الله تعالى، وتغافُلهم عن عبادته إبان الغلبة، مشيرةً إلى ذلك بكلمة السبت (انظر سورة النحل: ١٢٥) – وذلك تحذيرًا للمسلمين كيلا يتغافلوا عن الله تعالى مثل اليهود، بل يجب أن يُكثروا من عبادته ﷻ في أيام الازدهار.

وهذه السورة سورةُ بني إسرائيل أيضًا أومأت إلى هذا الأمر وأخبرت أن المسلمين سيُمنَحون الحكم على المناطق التي كانت تحت حكم اليهود.

وهناك علاقة أخرى تربط بدايةَ هذه السورة بنهاية سورة النحل، وهي أن الله تعالى قد أخبر المسلمين في أواخر سورة النحل أن المواجهة بينكم وبين أهل الكتاب موشكة، وأنهم سوف يؤذونكم مثل الكافرين المكّيين، فعليكم أن تصبروا على أذاهم إلى أن يحين الوقت الذي تضطرون فيه للدفاع؛ ولئن صبرتم فإن الله سوف ينصركم عليهم في آخر المطاف مثلما وعدكم بالنصر على كفار مكة. والآن في سورة «الإسراء» قد لمّح الله إلى أن المواجهة بينكم وبين أهل الكتاب ستتم في المدينة، وأنكم ستنالون الحكم والسلطان على أماكنهم المقدسة.

ملخص محتواها:

لقد ركّزت هذه السورة بشكل خاص على دمارَين حلاّ باليهود نتيجة عصيانهم لله تعالى مرتين، فأحاطهم في كل مرة عذابٌ مروّع. وقد أشارت بذلك إلى أنه سيأتي على المسلمين أيضًا زمن الفتن المروعة مرتين، ولكن بما أن محمدًا هو خاتم النبيين ﷺ فلن تهلك أمته من جراء هذه الفتن الهائلة، بل سوف تخرج منها أعظمَ شأنًا وأكثر لمعانًا من ذي قبل.

هناك أمور ذُكرت في سورة النحل إشارةً، بينما تناولتها سورةُ الإسراء تفصيلاً. فقال الله تعالى في سورة النحل عن العسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ

لِلنَّاسِ﴾، مشيرًا إلى أن كلام الله تعالى أيضًا يمثّل شفاء لهم، أما في سورة الإسراء فقد صرح بهذا المعنى فقال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الآية: ٨٣).

إن سورة الإسراء أسبق نزولاً من سورة النحل، ولكنها، من حيث محتواها، كانت تستحق التأخير، فلذلك وضعها النبي ﷺ بأمر الله تعالى بعد سورة النحل عند تدوين المصحف. لقد أسلفتُ أن تدوين السور في المصحف مختلف عن ترتيبها النزولي، لأن الترتيب الحالي كان ضروريًا من أجل تلاوة القرآن ككل، وكذلك بالنظر لحاجات المتأخرين الذين يخاطبهم القرآن. وإنه لمن معجزات القرآن أن كل سورة من سُوَره تتضمن موضوعًا مستقلاً، وفي الوقت نفسه هناك ترابطٌ قوي بين سورة وأخرى. عندما كانت سُوَر القرآن تنزل منفصلةً وآخذةً في عين الاعتبار حاجةَ المخاطَبين الأولين لم يواجه قارئوها أية مشكلة، لأن موضوع كل سورة كان مكتملاً في حد ذاته، وحين دوّن النبي ﷺ هذه السورَ بأمر الله ﷻ بترتيب مغاير لترتيبها النزولي نشأت سلسلة من المعاني الجديدة بالترتيب الجديد – بالإضافة إلى المفهوم المستقلّ لكل سورة – مما وسّع معارف القرآن ومفاهيمه بشكل محير. فتبارك الله أحسن الخالقين!

لقد ركّزت هذه السورة بشكل خاص على دمارَين حلاّ باليهود نتيجة عصيانهم لله تعالى مرتين، فأحاطهم في كل مرة عذابٌ مروّع. وقد أشارت بذلك إلى أنه سيأتي على المسلمين أيضًا زمن الفتن المروعة مرتين، ولكن بما أن محمدًا هو خاتم النبيين ﷺ فلن تهلك أمته من جراء هذه الفتن الهائلة، بل سوف تخرج منها أعظمَ شأنًا وأكثر لمعانًا من ذى قبل.

ولقد استهل الله ﷻ هذه السورة بذكر الإسراء إشارةً إلى أن محمدًا ﷺ قد جاء ليأخذ مكان موسى عليه السلام، وأن الأماكن التي وعَد بها موسى قومَه ستقع في قبضة محمد ﷺ، وأنه ﷺ سيضطر للهجرة مثل موسى، وأن هذه الهجرة ستكون فاتحة خير وازدهار لأمته ﷺ.

ثم تتحدث هذه السورة عن أحداث جرت مع موسى عليه السلام، وتبين كيف بعثه الله تعالى، وحقّق الرقي لقومه بواسطته، وكيف حذّرهم من أن ينسوه ﷻ في أيام الغلبة، ولكنهم لم ينتفعوا بهذا التحذير، فنالوا عقابًا شديدًا.

ثم يؤكد الله ﷻ أنه قد جعل القرآن أقوى تأثيرًا من التوراة، لذا فإن الانقلاب الذي سيُحدثه القرآنُ سيكون أعظمَ من الذي أحدثته التوراة. ولكن القرآن أيضًا مهدَّد بالخطر نفسه الذي هدَّد التوراة، حيث سينغمس أهله أيضًا في الفسق والفجور أيام ثرائهم ورخائهم، لذا نبّهت هذه السورة أن كسب الدنيا ليس أمرًا سيئًا في حد ذاته، ولكن ينبغي للإنسان أن يكسب الدنيا غيرَ مقصِّر في ذكر الله تعالى وفعل الخيرات.

ثم فصّلت السورة مبادئ الخير وأصوله، وأخبرت أن منكري القرآن حين يسمعون هذه المبادئ يعرضون عنها استكبارًا، غافلين عن مصيرهم، بدلاً من أن يتدبروا فيها، وإذا ذُكّروا بالمصير فلا يبالون كذلك، ولذا فإن مناهضي القرآن– سواء أكانوا من الخارج أو الداخل – سوف يلقون عقابًا شديدًا من الله تعالى. سيحلّ بالدنيا عند اقتراب القيامة، أي في زمن المسيح الموعود، عذاب شديد لتكذيب الناس القرآنَ الكريم، وستقع عندئذ حرب أخرى بين الملائكة وإبليس سينتصر

فيها أتباعُ آدم.

ثم أوضح الله تعالى لرسوله ﷺ أن القوم يريدون تدميرك، ولكننا قد قدّرنا لك غاية عظمى: سنذيع صيتك إلى أرجاء العالم حتى آخر الأزمان، وسنكشف كفاءاتك للدنيا قاطبةً.

ثم بيّن ﷻ أننا قد جعلنا القرآن لينفع إلى أبد الآبدين، وسوف نكشف به الخزائن الروحانية شيئًا فشيئًا، لأن الله تعالى ليس ببخيل.

وفي الختام ذكر الله تعالى علاماتِ الزمن الأخير وفِتنَه، مذكّرًا أن الدعاء هو الوسيلة للوقاية من تلك الشرور والفتن.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢)

شرح الكلمات:

سبحان: «سبحان الله».. أي أبرّئ الله من السوء براءةً (الأقرب).

أَسْرَى: أسراه وبه: سيّره بالليل. (راجِعْ للمزيد شرح الآية رقم ٦٦ من سورة الحِجر)

عَبْد: العبودية: إظهارُ التذلل، والعبادةُ أبلغُ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقُّها إلا مَن له غايةُ الإفضال وهو الله. والعبادةُ ضربانِ: عبادةٌ بالتسخير وعبادةٌ بالاختيار. والعبدُ يقال على أربعة أضرُبٍ: الأول عبدٌ بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعُه وابتياعه (وجمعُه عبيدٌ)، والثاني عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلا لله، والثالث عبدٌ بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربانِ: عبدٌ لله مخلِصًا (أي العابدُ وجمعُه عباد)، وعبدٌ للدنيا وأعراضها (المفردات).

المسجد الحرام: الكعبة (الأقرب).

الأقصى: اسم تفضيل مِن قصا يقصو المكانُ وقَصِيَ يَقصَى: بَعُدَ، فالأقصى هو الأبعد وجمعُه الأقاصي (الأقرب). فالمسجد الأقصى يعني المسجد البعيد.

التفسير:

إن هذه الآية هي من تلك الآيات الهامة التي تضاربت الآراء في تفسيرها تضاربًا كبيرًا، وتقول الأغلبية العظمى من المفسرين والعلماء ، القدامى منهم والمعاصرين، بأنها تتكلم عن حادثة المعراج النبوي، وإن كانت الروايات حول تفاصيل المعراج تختلف فيما بينها اختلافًا كبيرًا. وقد بلغت هذه القضية، بسبب تضارُب الأحاديث والروايات، من التعقيد والإشكال بحيث إنني سأضطر لتقسيمها إلى عدة أجزاء حتى تتضح الحقيقة.

فأولاً وقبل كل شيء أوضح لكم أن حادث المعراج مذكور في مكان آخر من القرآن الكريم أيضًا، وذلك في سورة النجم حيث قال الله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وهو بالأُفُق الأعلَى* ثُمَّ دَنَا فتَدلَّى* فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عبده ما أَوْحَى* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى* أَفَتُمَارُونَهُ على ما يَرَى* ولقد رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عندها جَنَّةُ الْمَأْوَى* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكبرى*﴾ (النجم:٥ – ١٩)

تشير هذه الآيات إلى المعراج النبوي الشريف، والدليل على ذلك هو أن كل ما ورد فيها يتعلق بحادث المعراج.

ويُستخلص من هذه الآيات ما يلي:

١. وصولُ النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى
٢. غشيانُ شيءٍ ما سدرةَ المنتهى أثناء ذلك.
٣. رؤيتُه ﷺ الجنةَ عندها
٤. وصولُه ﷺ إلى حالة وصفها قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾
٥. رؤيتُه ﷺ البارئ تعالى
٦. نزولُ الوحي عليه ﷺ.

وكل هذه الأمور مذكورة في الروايات التي تصف حادث المعراج.

مِنْ نَفَحَاتِ أَكْمَلِ الخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ. وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي. الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. (صحيح البخاري، كتاب الصوم)

عَـــنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ. وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ. فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي)

عَـــنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. (صحيح البخاري، كتاب الصوم)

عَنْ سَهْلٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ. يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ. لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ. (صحيح البخاري، كتاب الصوم)

الصِّيَامُ وَبَرَكَاتُهُ

مِنْ كَلَامِ المَسِيحِ المَوْعُودِ وَالإِمَامِ المَهْدِيِّ

«حين دنت وفاة أبي اتفق لي أن رأيت مرة في المنام شخصا متقدما في السنّ طيّب الشكل، فقال لي ما مفاده: «إن الصيام لبعض الأيام من أجل استقبال الأنوار السماوية من سنة بيت النبوة». وأشار إلى أن أتأسى بأسوة أهل البيت هذه. فرأيت من المناسب أن ألتزم بالصيام لفترة من الزمان. وللتو خطر ببالي أن الأفضل أن أقوم بذلك سرًّا. فكنت أطلب طعامي من البيت إلى غرفة الضيوف وأوزعه سرًّا على الأيتام الذين كنت قد أكدت عليهم مسبقا ليحضروا في الوقت المحدد. وهكذا كنت أصوم طوال النهار، ولم يعرف عن هذا الصيام إلا الله..... لقد استمر بي الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية أو تسعة شهور، ورغم ضآلة الطعام الذي كنت أتناوله والذي لم يكن ليصبر عليه ابن الشهرين أو الثلاثة أيضا.. فإن الله تعالى قد حفظني من كل سوء ومكروه. ومن العجائب التي حظيت بها من خلال هذا النوع من الصيام هي تلك المكاشفات اللطيفة التي كُشفت علي.. فقد قابلت العديد من الأنبياء الكرام.. وكذلك بعض كبار الأولياء والصلحاء المسلمين الذين خلوا من قبل. وقد شاهدت رسول الله ﷺ بحالة اليقظة التامة وهو في رفقة الحسنَين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم. ولم يكن ما رأيته في رؤيا وإنما كانت في حالة من اليقظة.... وعلاوة على ذلك.. رأيت الأنوار الروحانية على وجه التمثيل كأعمدة لها ألوان مختلفة كالأخضر والأحمر، وكانت تتراءى من الجمال وقوة التأثير ما يعجز الإنسان عن وصفه. وكانت تلك الأعمدة النورانية المتصاعدة نحو السماء التي كانت بعضها ناصعة البياض وبعضها خضراء وأخرى حمراء كلها كانت تتصل بقلبي اتصالا خاصا، بحيث كانت تبعث السرور إلى القلب، حتى إني عند مشاهدتها كنت أشعر بقلبي ينتشي بنشوة خاصة لا سبيل لمقارنة لذتها مع أي شيء آخر. وكنت أتصور أن تلك الأعمدة الروحانية هي تعبير عن الحب المتبادل بين الله والإنسان.. ويعني ذلك أن نورا قد تصاعد من القلب ونورا آخر قد نزل من الفوق.. وحينما التقيا أخذا شكل عمود من نور. إن هذه الأمور الروحانية مما لا يمكن لأهل الدنيا أن يدركوها، لأنها بعيدة عن عيونهم، ولكن هناك مَن مَنَّ الله عليه في الدنيا بإدراك هذه الأمور. ومن العجائب التي ظهرت علي في فترة الصيام تلك كانت عبارة عن ضروب من المكاشفات.... وإنني على يقين أن الذي يخلد إلى حياة التنعم والراحة لا يسمو إلى المراتب الروحانية. ولكني لا أنصح كل واحد أن يقوم بمثل هذا الصيام.. كما لم أقم به أنا أيضا بناء على اختياري... اعلموا أنني لم أتحمل هذه المشقة الجسدية إلى فترة ثمانية أو تسعة شهور حيث ذقت الجوع والعطش إلا بأمر من الله الذي تلقيته بواسطة الكشف الصريح، ولم أعد إلى تكرارها إلا نادرا.» (كتاب البرية، الخزائن الروحانية مجلد ١٣ ص ١٩٧-٢٠٠ الحاشية)

الاستقامة فوق الكرامة
رمضان والدعاء والعلاقة الخاصة

خطبة الجمعة

التي ألقاها سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٠٦/١٧

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

ترجمة: المكتب العربي

ثمة علاقة خاصة لرمضان بإجابة الدعاء لفت الله ﷻ إليها أنظارنا في معرض قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧). بذكر هذه الآية وسط الأوامر بفرضية الصيام وشروطه والأوامر المتعلقة الأخرى. لقد تحدث سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه عن تلك العلاقة فقال: كما أن الصيام وسيلة لإحراز التقوى فهو كذلك وسيلةٌ للتقرُّب إلى الله ﷻ أيضا. فشهر الصيام في حد ذاته ليس وسيلة لإجابة الدعاء ما لم تُبذل فيه الجهود لنيل قرب الله ﷻ وتلمُّس سبل التقوى وسلوكها في شتى مجالات الحياة. وإذا ما تم لنا ذلك، فإن ما أقمناه من علاقة بالله في رمضان ستتعداه لتظهر آثارها الطيبة الدائمة فيما بعد أيضا. ولقد ذكر الله ﷻ في هذه الآية «إني قريب»، وقال النبي ﷺ أيضا إن الشيطان يصفَّد في هذا الشهر، وينزل الله إلى السماء الدنيا، أي يقترب من عبده . لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إلى من يقترب ﷻ من عباده؟ ألا إنما يقترب إلى الذين يبتغون قربه ويتلمسون سبل مرضاته، ولذلك يأتمرون بأوامره،

ينبغـــي أن يتحلى هذا العبـــد بالإيمان بالغيب، وإذا حصل ذلك من الإنســـان فعندها يوهب له من الله عرفان يمكّنه من أن يجرب بنفسه أن الله ﷻ موجود وأنه صاحب القـــدرات كلها وأنه مجيب الدعوات. فالاســـتقامة قبل الكرامة، أي على الإنسان أن يقوّي إيمانه أولا، وبعده سيتقدم الله إليه ويتوفر له الإثبات أيضا.

ويسعون جاهدين للعمل بتوجيهه ﷻ «فليستجيبوا لي» ويوطنون أنفسهم على العمل به، ويؤمنون ويوقنون بأن الله ﷻ صاحب كل قدرة وقوة. وإذا سألناه مستجيبين لأوامره مخلصين له فسيسمع أدعيتنا. صحيح أن الله ﷻ يقول ردًّا على سؤال عباده «إني قريب»، وأجيب دعاء عبدي وأصبحت قريبا منكم في هذا الشهر بشكل خاص، فادعوني. لكن قبل أن تدعوني لأجيب أدعيتكم يجب عليكم العمل بهذه الشروط، وهي: أن تستجيبوا لي عاملين بأوامري، وأن تؤمنوا وتوقنوا بقدرتي المطلقة إيمانا كاملا. فالذين يقولون إنا دعونا الله ولم يستجب لنا، أوَقد استعرضوا أوضاعهم مرةً إلى أي مدى يستجيبون لأحكام الله ﷻ؟! فإن زعم عدم الاستجابة على الرغم من الدعاء لهو زعم باطل. لقد قال سيدنا المسيح الموعود تبيانا للشروط التي وضعها الله ﷻ للإجابة: الأمر الأول الذي بينه الله هو أن على الناس أن يخلقوا حالة التقوى وخشية الله كي يُسمَع نداؤهم.. وثانيا فليؤمنوا بي، أي فليؤمنوا بوجود الله تعالى، واتصافه الكامل بكل طاقة وقوة وقدرة، أي ينبغي أن يتحلى هذا العبد بالإيمان بالغيب، وإذا حصل ذلك من الإنسان فعندها يوهب له من الله عرفان يمكّنه من أن يجرب بنفسه أن الله ﷻ موجود وأنه صاحب القدرات كلها وأنه مجيب الدعوات. فالاستقامة فوق الكرامة، أي على الإنسان أن يقوّي إيمانه أولا، وبعده سيتقدم الله إليه ويتوفر له الإثبات أيضا.

لقد سلط سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الضوء مركزا على شروط إجابة الدعاء ومبادئها وفلسفتها وغيرها في مناسبات مختلفة.

الآن سأقدم لكم بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام أيضا، التي بواسطتها يمكن أن نزيد علومنا ومعارفنا مدركين أعماق هذا الموضوع

ومتخذين إياه وسيلة لنيل قرب الله في رمضان. كما يمكن أن ننضم إلى الفائزين بالبركة الحقيقية لرمضان. بعض الناس يظنون أن كل دعاء لهم هو موضع القبول والاستجابة، وقد شرحتُ قليلا من قبل عن هذا، أن الله قد وضع بعض الشروط التي ينبغي علينا تحقيقها لنستحق بها الإجابة. فما هي مبادئ الإجابة؟ ولماذا لا يُتقبل أحيانا دعاء أولئك الذين يوفون جميع الشروط أيضا بحسب رغبتهم؟ يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

إنما الأساس الذي عليه يقوم الدعاء، أن الله تعالى لا يكون تابعًا لرغبة الداعي وآماله. فانظروا، ما أعظم حبَّ الأمهات لأولادهن! حيث لا يردن أن يصابوا بأي أذى، لكن لو أصر الولد على أمر خاطئ لسذاجته، فطلب منها مثلا أن يمسك بسكين حادة أو بجذوة نار متوهجة، أفتسمح له أمه، مع حبها الصادق وحرقتها الحقيقية له بأن يتناول هذه الجذوة، أو يقبض على نصل سكين حادة ويجرح بها يده؟ كلا. من هنا لكم أن تدركوا مبدأ إجابة الدعاء. يقول عليه السلام: أنا شخصيا صاحب تجربة في هذا المجال، بحيث إنه لو كان جانب ما في الأمر المدعو من أجله ضارًّا فلا يُتقبل ذلك الدعاء أبدا. ينبغي أن ندرك جيدا أن علمنا ليس يقينيا ولا صحيحا، فهناك أمور كثيرة نقوم بها مسرورين ظانين أنها مباركة، ونظن أن نتائجها إيجابية جدا، غير أنها تكون ذات عواقب وخيمة في نهاية المطاف، وتستحيل همًّا ومصيبة ملازمة لنا. قصارى القول، لا نستطيع القول إن كل ما يرغب فيه المرء هو خير له. كلا، بل لما كان الإنسان مجبولا على السهو والنسيان، فمن الطبيعي كما هو ملاحظ أن يكون بعضُ ما يريده ضارًّا، ولو قبل الله دعاءه على علاته، لعارض هذا رحمته سبحانه وتعالى معارضةً صريحة. إنه لمن الحقائق الثابتة اليقينية أن الله تعالى يجيب أدعية عباده ويشرفها بالقبول، لكنه لا يتقبل من الدعاء كل غث وسمين، لأن الإنسان لا يبرح يدعو غير ناظر إلى العواقب من فرط حماس نفسه، ولكن الله الذي هو ناصح حقيقي وعالم بالعواقب، يرد دعاء الداعي نظرًا إلى ما في قبوله من مضار وعواقب وخيمة له، ورد الدعاء هذا هو قبول بصورة ما، إذ يكون فيه الخير الحقيقي للعبد. فالله تعالى يستجيب دعاء العبد ما دام قبوله سيحفظه من الآفات والصدمات، أما دعاؤه الذي فيه ضرر فيقبله الله تعالى برفضه. لقد تلقيت الوحي التالي مرارا: «أجيب كل دعائك»، وبتعبير آخر، إن كل دعاء نافع ومفيد سوف يجاب.

ثم قال عليه السلام مبينا ضرورة أن ينظر المرء إلى أعماله واعتقاده أيضا بخصوص الدعاء، فقال: الحق والحق أقول، إن الذي لا يقوم بالعمل فإنه لا يقوم بالدعاء، بل يختبر الله تعالى، لذا فلا بد من استنفاد جميع القوى والطاقات قبل الدعاء، وهذا هو معنى الدعاء. فلزام على المرء أن يفحص معتقده وأعماله قبل الدعاء، لأن من سنة الله أن الإصلاح يتم بالأسباب، حيث يخلق الله سببًا ما يؤدي إلى الإصلاح. والذين يقولون ما الحاجة إلى الأسباب مع الدعاء، عليهم أن يتوقفوا هنا على وجه الخصوص متأملين. يجب أن يفكر هؤلاء الأغبياء أن الدعاء بحد ذاته سبب خفي ويؤدي إلى أسباب أخرى. ونلحظ شرحا لهذا الأمر خاصة في تقديم الله تعالى لجملة ﴿إياك نعبد﴾ التي تتضمن الدعاء، على جملة ﴿إياك نستعين﴾، المتضمنة لمساعدته تعالى لنا وإمداده إيانا بالأسباب.

باختصار، إن سنة الله التي نراها دوما أنه يخلق الأسباب، فيهيئ الماء لإطفاء

الغلة، والطعامَ لسد الجوع، ولكن من خلال الأسباب. فسلسلة الأسباب هذه متصلة على هذا النحو، وتخلق الأسباب حتما، لأن لله اسمين ... كما قال: ﴿وكان الله عزيزاً حكيمًا﴾. فالعزيز هو الغالب والقادر على كل شيء فيفعل ما يشاء، والحكيم من يكون فعله لحكمة وفي محله الملائم والمناسب. وعلى سبيل المثال، تجدون في النبات والجمادات خصائص شتى، فتناول قدرٍ ضئيل جدًا من التربد أو السقمونيا يسبب الإسهال. إن الله قادر على أن يجعل بطن المرء يجري دون سبب، أو يروي الغليل حتى بدون الماء، ولكن كشف عجائب قدرته للإنسان كان ضروريا، لأنه كلما ازداد الإنسان معرفة بعجائب قدرة الله اطلع على صفات الله أكثر، مما يساعده على التقرب إليه تعالى.

ثم ذكر المسيح الموعود عليه السلام فلسفة الدعاء فقال:

عندما يبكي الرضيع ويصرخ طلبا للبن الأم من فرط الجوع، يتدفق اللبن في ثدي الأم. لا يعرف الطفل حتى لفظ الدعاء، ولكن كيف تستدرّ صرخاته لبن أمه؟! هذا ما جرّبه الجميع. فقد لوحظ في بعض الأحيان أن الأم لا تشعر بوجود اللبن في ثديها، ولكن صرخة الرضيع تجلبه تلقائيا وكأن لتلك الصرخات علاقة بتدفقه. أقول حقًّا: لو كانت صرخاتنا أمام الله تعالى أيضا اتسمت بهذا النوع من الحرقة والاضطرار فلا بد أنها تثير فضله ورحمته وتجلبهما.

فالله تعالى يستجيب دعاء العبد ما دام قبوله سيحفظه من الآفات والصدمات، أما دعاؤه الذى فيه ضرر فيقبله الله تعالى برفضه. لقد تلقيت الوحي التالي مرارا: «أجيب كل دعائك»، وبتعبير آخر، إن كل دعاء هو نافع ومفيد سوف يجاب.

ثم يشرح عليه السلام فلسفة الدعاء المذكورة في مثال الأم والرضيع فيقول بأنه ينبغي أن تكون من سمة الإنسان الدعاء والسؤال، فإن دأَبَ على ذلك أراه الله تعالى تجلي الاستجابة. يقول حضرته:

«إن الدعاء سمة الإنسان والاستجابةُ صفة الله، والذي لا يفهم ولا يؤمن فهو كاذب. إن مَثَل الطفل الذي ضربته آنفا يبين فلسفة الدعاء جيدا. الرحمانية والرحيمية ليستا شيئين مختلفين، لذا فمن ترك إحداهما وأراد الأخرى فلن يجد شيئا. إن من آثار فيوض رحمانية الله تعالى أنها تولّد فينا القوى اللازمة لاستنزال فيوض رحيميته ﷻ، ومن لم يفعل ذلك فهو كافر النعمة. (أي ينكر نعم الله تعالى) إنما المراد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أننا نعبدك وحدك مع مراعاة الأسباب المادية التي وهبتَنا إياها، ومن جملتها الدعاء وغيره مما أُعطيناه من أسباب ظاهرة لتحقيق هذا الأمر. خذوا اللسان مثلا وما يدخل في تكوينه من عروق وأعصاب، فلو لم يكن اللسان هكذا لما قدرنا على الكلام. فلا يسع الإنسان الكلام إن جفّ لسانه، كذلك يتصلب اللسان إن أصيبت بعض أعصابه، فقد رزقنا للدعاء لسانا قادرا على التعبير عما يختلج في قلوبنا من أفكار. (لقد أعطى الله الإنسان اللسان ليتكلم به ويفصح عما يخطر بجنانه من أفكار)

فإن لم نستخدم اللسان للدعاء قط فهذه شقاوتنا. هناك أمراض كثيرة لو أصابت اللسان لتعطل دفعة واحدة ولصار الإنسان أبكمَ. فمن عظيم رحيمية الله أنه قد منحنا اللسان. كذلك لو حصل خلل في الأذن لم نسمع شيئا. والحال نفسها للقلب؛ فلو أصابه المرض لفسد كل ما خلق الله تعالى فيه من قوة الخشوع والخضوع والتفكر والتدبر. انظروا إلى مختلي العقل كيف تبطل قواهم. إذًا، أفليس واجبا علينا أن نقدر هذه النعم الإلهية حق قدرها؟ لو تركنا هذه القوى التي أعطانا الله بكمال فضله عاطلةً، فلا ريب أننا بهذا نجحد نعمة الله علينا. فاعلموا ألا فائدة ترجى من الدعاء ما لم يرافقه إعمال ما خولنا الله تعالى من قوى وكفاءات وأسباب، (أي ينبغي أن تستخدموا كل ما حبانا الله تعالى به من قوى وقدرات وكفاءات واعملوا بما حثّ به على الأخذ بالأسباب، ثم ينبغي أن تقوموا بالدعاء، وبدون ذلك لن يفيدكم الدعاء شيئا) فإن لم نستفد من الرحمانية كعطية إلهية أولى، فأنى لنا أن ننتفع من رحيميته كعطية أخرى؟

ثم يُجَلِّي عليه السلام الأمر أكثر، فيقول بأن نواميس القدرة تتضمن أمثلة على استجابة الدعاء. يقول عليه السلام:

«فقصدي أن نظائر استجابة الدعاء موجودة في نواميس القدرة، وفي كل زمان يرسل الله نماذج حية لذلك، ومن أجل ذلك علّم دعاء «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صراط الذين أنعمت عليهم». هذه مشيئة الله وقانونه، وليس بوسع أحد أن يبدلها. إن كلمات ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لهي دعاء يتضمن التماس أنْ يجعل الله أعمالنا أكمل وأتم. يكشف التدبر في هذه الكلمات أنها وإن كانت تأمرنا بالدعاء طلبا للهداية إلى الصراط المستقيم، (أي أنها في الظاهر إشارة إلى الحث على الدعاء وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم) إلا أن كلمات ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ التي سبقتها توحي بأنه يجب علينا أن نغتنم هذه الفرصة، أعني أن نستعين بالله مستخدمين قوانا السليمة على التدرج في منازل الصراط المستقيم. (فاستخدموا القوى السليمة التي وهبها الله تعالى للسلوك في الصراط المستقيم واستعينوا به) لذا فإن الأخذ بالأسباب الظاهرية أيضا ضروري، ومن يتركها فهو كافر بالنعمة.»

ثم يقول حضرته: هناك آفات عديدة لو أصابت اللسان لتعطّلَ عن عمله. فهذا مثال على رحيمية الله. كذلك قد أودع الله قلوبنا الخشوع والخضوع وقوة التفكر والتدبر، ولو دعَونا الله غير باذلين هذه القوى والقدرات فاعلموا أن مثل هذا الدعاء لن يكون مجديا ونافعا أبدا، لأننا إذا لم نستفد من الموهبة الأولى فماذا سنستفيد من الثانية؟ فورود ﴿إياك نعبد﴾ قبل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني وكأننا نقول: ربنا ما عطّلنا المواهب والقوى التي أعطيتنا من قبل ولا أضعناها. اعلموا أن ميزة الرحمانية أنها تجعل الإنسان أهلاً للاستفادة من الرحيمية، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾، وهذا ليس كلاما فارغا، بل هذا ما يقتضيه شرف الإنسان. الدعاء من صفات الإنسان، ومن لم يتحرَّ استجابة الدعاء عند الله تعالى فهو ظالم.

مما يؤسف له أن حالة السرور والمتعة الناشئة عن الدعاء لا توجد كلمات تكفي لوصفها، لأن هذه الحالة لا تدرك إلا بالتجربة. وقصارى القول، إن من أول شروط الدعاء عمل الصالحات وسلامة الاعتقاد،

لأن الذي يدعو الله تعالى بدون أن يصلح معتقداته ويعمل الصالحات فكأنه يختبر الله تعالى. إننا نقصد بقولنا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يجعَل ربنا أعمالنا أكملَ وأتمَّ، ثم نصرح أكثر ونقول ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾، أي أننا نريد أن تهدينا إلى صراط المنعم عليهم، أي ذوي العقيدة السليمة، وتنقذنا من صراط المغضوب عليهم الذين حلَّ بهم العذاب جرَّاء سوء أعمالهم،. وأما قوله تعالى ﴿ولا الضالين﴾ فعلَّمنا فيه الدعاء من أجل ألا نُحرَم حمايته ﷻ والاستفادة من رحمانيته، فنحرم بالتالي من الاستفادة من رحيميته فَنُمْسِي من الضالين.

ثم يدحض المسيح الموعود عليه السلام قول أهل الدنيا بأن التضرع والبكاء في حضرة الله لا يُجديان شيئا، فيقول حضرته:

يظن بعض الناس أن البكاء والابتهال أمام الله تعالى غير مُجْدٍ، كلا، هذا ظنّ خاطئ وباطل. بل مثل هؤلاء لا يؤمنون بوجود الله وصفة قدرته وتصرّفه. لو كانوا مؤمنين حقا لما تجاسروا على هذا القول.

كلما جاء أحد إلى الله تعالى ورجع إليه بتوبة صادقة تفضَّل الله عليه دائما. ما أصدقَ ما قال الشاعر (بالفارسية):

أيُّ عاشق ذلك الذي لا ينظر حبيبه إلى حاله! يا صاحبي ليس عندك وجع، وإلا فإن الطبيب موجود.

(أي عليكم أن تشعروا في أنفسكم بحرقة وألم فسوف يستجيب الله لكم. ثم يقول عليه السلام)

إن الله تعالى يريد أن تأتوه بقلوب طاهرة، والشرط الوحيد أن تجعلوا أنفسكم متوافقة مع لقائه سبحانه وتعالى، (أي أن تعملوا بقوله فليستجيبوا لي) وتُحدثوا في أنفسكم ذلك التغيير الحقيقي الذي يجعل الإنسان أهلاً للقاء الله تعالى. الحق والحق أقول، إن ما عند الله تعالى من قوى وكمالات وأفضال وبركات ما لا يُعَدُّ ولا يُحَدُّ، ولكن لن يتسنى لكم إحرازها إلا لو أبصرتموها بعين الحبّ . إذا كان الحب صادقا استجاب الله تعالى للدعاء بكثرة وأيد بكثرة أيضا. فحضرته عليه السلام يقول: لكي يستجيب الله لدعائكم يجب أن تحبوه ﷻ، فلو كان الحب صادقا فلا بد أن يتقبل أدعيتكم بكثرة.

ماذا على الإنسان أن يفعل حتى يحظى بحب الله تعالى فيستجيب لدعائه ويمتعه بقربه؟! يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الصدد:

إن الشرط هو أن يحب المرء الله سبحانه وتعالى ويخلص له، فإنّ حبَّ الله يحرق حياة الإنسان السِفْلية ويجعله إنسانا جديدا نقيا، وعندها يرى ما لم يكن يراه من قبل ويسمع ما لم يكن يسمعه من قبل. باختصار، لقد زوّد اللهُ الإنسان بكفاءات شتى ليتناول من مائدة الفضل والكرم التي أعدها الله له وينتفع منها.

(أي أن الله تعالى لم يخلق الأشياء فقط بل زوَّدَنا أيضا بكفاءات تساعدنا على استعمال تلك الأشياء والانتفاع منها)

ولو أن الله تعالى زود الإنسان بالكفاءات ثم لم يهيئ له شيئا لكان هذا نقصًا، أو لو أنه تعالى أعد له الأشياء ولم يزوده بالكفاءات للانتفاع منها فما الفائدة في ذلك؟ ولكن ليس الأمر هكذا، وإنما وهب الله تعالى للإنسان الكفاءات وهيأ له الأشياء والأسباب أيضا.

ففي مقابل خلق الخبز لغذاء للإنسان، خلق الله تعالى له العين واللسان والأسنان والمعدة وسخَر له الكبد والأمعاء لتناوله وهضمه.

وجعل مدار كل هذه الأمور على الغذاء، فلو لم يدخل الطعام في البطن

فمن أين يأتي الدم للقلب؟ ومن أين يتولد الكيلوس؟ فكذلك تماما قد تفضل الله علينا فأرسل أولاً رسوله ﷺ بدينٍ كامل كالإسلام، وجعله خاتم النبيين وأنزل عليه القرآن كتابا كاملا خاتم الكتب، بحيث لن ينزل بعده إلى يوم القيامة كتاب، ولن يأتي بعده أي نبيّ بشرع جديد، فما لم ننتفع بعد ذلك مما وهبنا الله تعالى من قوى الفكر والتدبر، ولم نتقدم إلى الله، فكم نكون كسالى وغافلين وناكرين للجميل! انظروا كيف دلّل الله تعالى في هذه السورة الأولى على صراط فضله بطريقة واضحة مقصودة.

انظروا كيف بيَّن الله تعالى في أولى سور القرآن صراط فضله باجلى بيان وبشكل مقصود، حيث بين في هذه السورة التي تسمى خاتم الكتاب وأم الكتاب بصراحةٍ غايةَ الحياة الإنسانية والسبيل إلى تحقيق تلك الغاية. فكأنّ قوله (إياك نعبد) هو مقتضى الفطرة الإنسانية ومرادها الأصلي، ثم قدّمه الله على قوله (إياك نستعين) ليبين أنه لا بد للإنسان أولاً أن يسعى ويجاهد في اتباع سبل مرضاة الله تعالى بكل ما أعطي من قوة وهمة وفهم، وينتفع مما وهبه الله تعالى من كفاءات وقوى حق الانتفاع، ثم بعد ذلك يدعو الله تعالى لتكميلها واستثمارها.

ما وسائل بلوغ معرفة الله؟! يبين المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع فيقول: لا شك أنه قد (خُلِقَ الإنسانُ ضعيفًا). إنه مخلوق ضعيف لا يستطيع فعل شيء من دون فضل الله ورحمته. إن وجوده وأسباب نمائه وبقائه كلها متوقفة على فضل الله تعالى. إنه لأحمق ذلك الذي يتباهى بعقله وفهمه أو ماله وثرائه، لأن كل تلك الأمور إنما هي عطية من الله، فمن أين حصل عليها؟ أما الدعاء فلا بد أن يفكر الإنسان في ضعفه وعجزه، لأنه كلما فكر في ضعفه وجد نفسه أحوج إلى عون الله تعالى، وهكذا سيتحمس قلبه للدعاء.

(يقول الناس لا نجد حماسًا للدعاء، وهنا يبين عليه السلام أن على الإنسان أن ينظر بإمعان إلى ضعفه وعجزه، ثم يسعى للوفاء بمقتضى محبة الله، فسوف يجد في قلبه حماسًا للدعاء. ويتابع المسيح الموعود عليه السلام ويقول)

فكما أن الإنسان إذا أصابته مصيبة وشعر بالألم والضيق، نادى بكل قوة مستصرخا ومستغيثا، كذلك لو أنه فكّر في أحوال ضعفه وزلاته لوجد نفسه محتاجًا إلى معونة الله في كل حين، وخرّت روحه على عتبة الله تعالى بمنتهى الحماس والألم والاضطراب وصرخت: يا رب، يا رب.

لو تدبرتم في القرآن الكريم لعلمتم أن الله تعالى قد أمرنا بالدعاء في أول سورة منه فقال: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، لا يُعدّ الدعاء جامعا إلا إذا جمع كل يجلب المنافع وينجي من المصائب والآلام فقد سُئلت في هذا الدعاء المنافعُ العليا التي يمكن وجودها في دعاء، كما يُتَوقَّى به من كافة المضار التي تؤدي إلى هلاك الإنسان.

إذًا، يجب التذكر دائما أن الأدعية المذكورة آنفا ليست من أجل الدنيا، وإنما هي من أجل الدين، لذا يجب على الإنسان أن يقدّم الدين على الدنيا في أدعيته كلها. عندما يفعل المرء ذلك تفتح عليه أبواب قرب الله تعالى وتُقبل الأدعية الأخرى تلقائيا.

ثم يوضح المسيح الموعود عليه السلام أن الدعاء الحقيقي هو دعاء ثبات المرء على الدين، وهذا الدعاء يكون سببا للحصول على قرب الله واستجابة

الأدعية الأخرى، فيقول عليه السلام:

«﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي أقبل توبة التائب. إن وعد الله هذا يُجيز الإقرار الذي يقوم به التائب بصدق القلب. لولا مثل هذا الإقرار أمام الله تعالى لكان قبول التوبة صعبا. الإقرار الذي يتم بصدق القلب تكون نتيجته أن الله يحقق جميع وعوده التي قطعها مع التائب. عندما يقر الإنسان بأنه سيجتنب جميع الذنوب ويؤْثر الدين على الدنيا يبدأ تجلي النور بالنزول على قلبه في الوقت نفسه.»

لقد بيّن الله تعالى أن الصلاة أفضل السبل لقربه ولإجابة الدعاء، يقول المسيح الموعود عليه السلام في هذا الموضوع: الهدف الحقيقي ومغزى الصلاة هو الدعاء وهو يطابق قانون الله السائد في الطبيعة. نرى بوجه عام أنه عندما يبكي الطفل ويبدي اضطرابه، فإن الأم تضطرب بدورها وترضعه. فالعلاقة نفسها توجد بين الألوهية والعبودية ولا يُدركها كل شخص. عندما يخرّ الإنسان على عتبات الله بكل تواضع وخشوع وخضوع ويعرض عليه ظروفه ويسأله حاجاته يهيج لطف الألوهية فيُرحم العبدُ. إن لَبَن فضل الله ولطفه أيضا يقتضي بكاءً، لذا يجب أن تُقدَّم إليه عين باكية.

فكما أن الإنسان إذا أصابته مصيبة وشعر بالألم والضيق، نادي بكل قوة مستصرخا ومستغيثا، كذلك لو أنه فكّر في أحوال ضعفه وزلاته لوجد نفسه محتاجًا إلى معونة الله في كل حين، وخرّت روحه على عتبة الله تعالى بمنتهى الحماس والألم والاضطراب وصرخت: يا رب، يا رب.

ففي شهر رمضان حين يتوجه معظم الناس إلى المساجد وأداء الصلاة جماعة، يجب التركيز أكثر على النوافل أيضا، كذلك يجب الإكثار من الدعاء ليوفقنا الله لتقديم الدين على الدنيا ويرزقنا قربه. ينبغي أن تكون الأولوية لهذا الدعاء ثم تأتي مرتبة الأدعية الأخرى التي تتعلق بحاجاتنا الدنيوية، فسيقضي الله تعالى الحاجات الدنيوية تلقائيا.

والآن أقدم لكم من أدعية المسيح الموعود دعاء يجب أن نحرص عليه كثيرا في هذه الأيام بوجه خاص لننال قرب الله تعالى. لقد دعا المسيح الموعود عليه السلام في حضرة الله قائلا: «يا ربَّ العالمين، لا يسعني شكر مننك، فأنت جِدُّ رحيم وكريم، ولك عليّ منٌّ تفوق حد الإحصاء، فاغفرْ لي ذنوبي لئلا أُهلَكَ، وأَلْقِ حُبَّك الخالص في قلبي لأنال الحياة، واستُرْني وأوزِعْني أن أعمل صالحًا ترضاه. أعوذ بوجهك الكريم من أن يحلّ عليّ غضبك، ارحَمْني ونَجِّني من بلايا الدنيا والآخرة، فبيدك الفضل والخير كله، آمين ثم آمين.»

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لفهم حقيقة الدعاء، وأن يجعلَنا شهرُ رمضان من الذين يفهمون تلك الحقيقة، ويوفقنا دائما لأن نكون من أقوياء الإيمان الذين يسمعون أوامره ويعملون بها ويقدمون رضاه على كل ما سواه. وندعوه تعالى أن تكون أعمالنا كلها لوجه عز وجل وأن يتقوى اعتقادنا أكثر من ذي قبل، وينشأ في قلوبنا حبُّه الصادقُ، وأن ينقذنا عز وجل من البلايا في الدنيا والآخرة.

المَوْعُودَانِ: المَسِيحُ، وَذَاتُ رَمَضَانِ

محمد مصطفى

واقع مرير على غير المتوقع

مع حلول شهر رمضان المبارك تراودنا كثير من الأفكار، وأفكار الناس حول هذا الشهر العظيم بين متقبل له ورافض؛ سواء أكان أولئك الرافضون من غير المسلمين أو ثُلة جاحدين من أوساط المسلمين أيضًا تُشجعهم وتُثني على توجهاتهم بناء على أفكار وموجات الإلحاد المنتشرة بين أنصار مذاهب الطبيعة واللاأدريين الذين يميلون كل الميل نحو المذاهب العلمية والعقلية المحضة، أولئك الذين رأوا أن ينتهجوا منهج الجدل العقلي في الاحتجاج فظنوا أنهم بذلك يعلمون، بينما يصفهم الله خالق العلوم فيقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (١) وما أكثرهم في هذه الأيام. يرون في حلول موسم الصيام مناسبة مثيرة ومميزة لنقض ممارسات الصيام في الإسلام مستغلين بذلك بعض المعاناة الناجمة جراء الجوع والعطش للثني من عزم المسلمين مختلقين سلبيات صحية من عند أنفسهم افتراء، ونابرين على وتر العاطفة تجاه من يصوم، فيظهرون كأنهم المحبون والمخلصون والناصحون! ذئاب خاطفة في ثياب الحملان، فذلك الدجال يتبعه من الناس من يتبعه، زين لهم الشيطان سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين.

تشخيص كامل

ولا غرابة فيما نراه في أيامنا هذه من تلك الفئة فيما تبثه، فهو تمامًا كحال أيام حضرة سيدنا مرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام الذي كان قد سبق وقال: «يا طُلاب الحق ومُحبي الإسلام الصادقين، واضح لكم أن هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن مظلم يسوده فساد كبير في الأمور الإيمانية والعملية كلها على حدٍ سواء، وإن عاصفة الضلال الشديدة تهب من كل حدبٍ وصوب. وإن ما يُسمى إيمانًا قد حل محله بضع كلمات تُلفظ باللسان فقط. والأمور التي تُسمى أعمالًا صالحة اعتُبرت مصداقها بضع التقاليد والإسراف وأعمال الرياء. وأُهمل البر الحقيقي إهمالًا تامًا. إن الفلسفة والمذهب الطبيعي في هذا العصر أيضًا يعارضان الصلاح الروحاني بشدة، وإن جذبهما يترك على أهلهما تأثيرًا سيئًا جدًا ويدفع إلى الظلام، ويُنشّط المواد السامة ويوقظ الشيطان الراقد. إن المُلمين بهذه العلوم يُسيئون الاعتقاد بالأمور الدينية في معظم الأحيان ويحتقرون ويزدرون المبادئ التي سنها الله تعالى وطرق الصوم والصلاة وغيرهما

من العبادات. لا عظمة لله في قلوبهم بل معظمهم يصطبغون بصبغة الإلحاد، والدهرية مستولية عليهم، وهم أعداء الدين مع كونهم أولاد المسلمين» (٢)

لقد شخّص حضرة المسيح الموعود عليه السلام هنا الحالة التي سيكون من شأن علاجها -أي علاج السلبيات التي ذكرها- فتحًا للإسلام، ففيما يخُص موضوع حديثنا في هذه الأيام المباركة ومع حلول شهر الصيام نجد حضرته قصد نقاط ذات أهمية يلمسها جميعنا في أوساطنا الإسلامية بشكل عام وهي سبب بعثته ومجيئه. لقد أدرج حضرته في بداية هذا التشخيص قولًا عامًا لمّا ذكر قائلًا: «هذا الزمن الذي نعيش فيه زمن مظلم يسوده فساد كبير في الأمور الإيمانية والعملية..» فلا يغيب عن البال كيف انقلب هذا الشهر الفضيل، رمضان المُعظم من فترة زمنية هيأها الله سبحانه لخلقه بغاية الزهد وحُسن التعبد والقرب والتوكل عليه، حتى نكون أقرب شبهًا إلى الطير فيرزقنا كما يرزقها تغدو خماصًا وتروح بطانًا، فأمسى الشهر بفعل الأفاعيل الشيطانية مسخًا جراء عاصفة دنيوية شوهت معالمه وتعاليمه وانجر وراءها كثير من الناس بكل أسى، فصارت الأعمال الصالحات مجرد كلمات خاوية من مضامينها أو معانيها التطبيقية على أرض الواقع. وإذا خرج رافض مُدافع ضد هذا الكلام تجد حقيقة دفاعه إنما هي منضوية على الدفاع عن الموروث التقليدي لديه وحفظًا لماء الوجه المشوه أساسًا! فلا يخلو دفاعه عن صلاح عمله هذا من رياء وإرادة مصلحة دنيوية حتمًا. غير أنه لا بد له أن يلبسها لباس الدين ليجد مسلكه بين الناس، فتجد من اعتاد على عمل موائد الإفطار الرمضانية لإطعام الناس تحركه عادته وتقليده في الأساس وانتظار مقابل دنيوي ما ماديًا كان أو معنويًا فيقع حتمًا في تصنيف المرائين إذ أن شهر رمضان بالنسبة إليه هو في الحقيقة شهر دعائي ولا يخلو عمله فيه من أعمال المسرفين.

البر الحقيقي

طالما تطرق الآذان في هذا الشهر الفضيل.. رمضان المعظم، كلمةُ «البر الحقيقي» وذلك في سياقات متعددة، ونسمعها عبر وسائل الإعلام الإسلامية عموما والعربية منها خصوصا، كما تشنف آذاننا بها خطب المشايخ على اختلافهم وخلافاتهم على المنابر..

لقد أصبح البر الحقيقي بكل أسى وأسف في هذا الشهر الكريم مدعاة للسخرية. ولا شك أن هذه الكلمة أي «البر الحقيقي» قد فقدت مضمونها الأصلي تماما، إذ لا يتحقق من فحواها ما أراده الله ونص بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٣) وذلك بعد أن نفى سبحانه أن يكون البر حاصلا من مجرد إعلان لفظي بالإسلام، كلا بل يكون فقط بتحقيق ذلك أفعالًا في واقع الحياة. فركّز على الإيمان المفقود عمومًا، والإنفاق بدون الرياء في سبيل مواساة الإنسانية، والصبر... فإذا كان البر هو الصلة بين العبد وربه، وهذه الصلة تتقوى أكثر ما تتقوى في أجواء رمضان، إذ تتوفر فيه كل ما ذكرته آية البر، فلا بد من الصدق في التعبير عنها، لا أن تُتداول وتلوكها الأفواه كالعلكة في رمضان ثم تبصقها ما أن ينتهي! فأين الاتقاء من الله في ذلك؟!

العلاج، رمضان الموعود

وفي التشخيص الكامل الذي بينه حضرة المسيح الموعود عليه السلام لحالة الأمة والإنسانية قوله فيما قال آنفًا:

«إن الفلسفة والمذهب الطبيعي في هذا العصر أيضًا يعارضان الصلاح الروحاني بشدة، وإن جذبهما يترك على أهلهما تأثيرًا سيئًا جدًا ويدفع إلى الظلام». وفي عالمنا العربي خاصة والإسلامي عمومًا، أصبح شهر رمضان فترة زاخرة بالموبقات والسيئات بل والكبائر التي أصبحت من العادات!! نعم، حتى أنه صار كثير من الناس والمسلمين يستغربون ويتساءلون عن مدى مصداقية الحديث «هذا رمضان قد جاء تُفتح فيه أبواب الجنة وتُغلق فيه أبواب النار وتُسلسل فيه الشياطين»[٤] فلقد صار هذا الشهر داعيًا عند كثيرين إن لم يكونوا الغالبية إلى استباحة اسم الدين وحرمته بحجةٍ واهية، بل هي عذر أقبح من ذنب ألا وهو ضيق الصدر الناجم عن جوع أو عطش أو نقص المُكيفات والمُنبهات أو قلة النوم بسبب السهر على المواد التلفزية الدنيوية المُجهزة سلفًا لملْء حيز هذا الشهر على آخره تمامًا..!!

لقد حل الظلام تماما، وأصبح تأثير خُطى الشيطان -المفترض أن يكون مُقيدًا في هذا الشهر- تأثيرًا عارمًا عامًّا.. ولمّا نقول أن الإيمان قد ارتفع ولا بد للإتيان به من رجل من الله أو رجال منه يُهيئهم الله ليجلبوه من مُرتفعه ويهيئون له المكان والإنسان ليعود الحال إلى ما يُرضي الله ويُصلح الحياة.. يقول المعاندون رغم كل مفسدة تلمسها الأيدي وتراها الأعين: «أترانا كافرين؟ أم عاجزين نحتاج إلى أوصياء على الدين؟ أوكنا على ضلال طوال تلك السنين؟!» فنقول لهم: بلى، إنّا كنا غافلين.

ونقول مؤكدين بأن ليس رمضان المجرد في حد ذاته سيأتي بالإصلاح أو الإيمان، فلن تُقيد الشياطين من تلقاء نفسها مع دخول هذا الشهر (كما تفهمون أنتم)، إنما ذلك يحدث مع رمضان الذي عينه الله بعد فترة ظلام روحاني أحاط الدنيا وعمّها، إيذانًا بقدوم من يُلجم شياطين الإنس والجن، يقول الله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ* وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ* لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ* دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [٥] إذن إن هذا هو الإيذان بتجديد قيود الشيطان ليُسلسل ويعود مقيدًا مرة أخرى بل ويُدحر.

ففي رمضان من العام ١٨٩٤ ظهرت العلامة التي حددها الله تعالى لإعادة تأهيل البشرية وأمة الإسلام وعلاجها من آفاتها التي أحاطت بها صغيرة وكبيرة، وكانت علامة بهية نقية ليس فيها تدخل يد بشر فيُساء فهمها أو قبولها، وتمثلت في تحقق نبوءة الخسوف والكسوف، والمذكورة في سنن الدارقطني: إِنَّ لِمَهْدِينَا آيَتَيْنِ لَمْ تَكُونَا مُنْذُ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ تَنْكَسِفُ الْقَمَرُ لأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَتَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِي النِّصْفِ مِنْهُ وَلَمْ تَكُونَا مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ.[٦] ونجد حضرة المسيح الموعود عليه السلام يتحدث معلقا على تلك النبوءة الساطعة قائلا: «لم يحدث هذا في زمن أيّ رسولٍ أو نبي منذ خلق الدنيا إنما كان حدوثه مقدرًا في زمن المهدي المعهود... ولـمَّا لم يوجد في زمن الكسوف على وجه الأرض أحد يدعي أنه المسيح الموعود إلا أنا ولم ينشر أحد مئات الإعلانات إلا أنا... معتبرًا الكسوف آيةً على مهدويته، لذا فقد ثبت أن هذه الآية السماوية قد ظهرت من أجلي أنا.» [٧]

إذًا؛ لقد أتى الطبيب، الذي عينه لنا الله عز وجل للقيام بعلاج جميع أمراضنا وآفاتنا التي علقت بنا وثيابنا وأرواحنا.. أتى ليعيد لرمضان رونقه الروحاني، فتعود العناية في رمضان أكثر نجاعةً ونجاحًا إذا ما التزمنا وصفة الطبيب المُختص المُعين من قبل الشافي الأعلى سبحانه.

لقد أتى هذا الرجل المبعوث، وجهز لنا مائدة روحانية متجددة لنقتات عليها، وعلمنا من الله ما لم نكن نعلم..

١. (الحج: ٩) ٢. (فتح الإسلام)
٣. (البقرة: ١٧٨) ٤. (مسند أحمد)
٥. (الصافات: ٧-١٠) ٦. (سنن الدارقطني)
٧. (حقيقة الوحي)

شَهْرُ رَمَضَانَ.. رَبِيعُ وَحْيِ السَّمَاءِ

حلمي مرمر

تمر الأيام، وتتوالى الأعوام، وفي كل عام يأتينا رمضان كالربيع ينشر الخضرة في أرجاء القلوب، وتنمو أشجار الإيمان، وتُكسَى بالخضرة فروعها، وتخرج براعم أوراقها من مكامنها، وتتفتح أزهارها، وينتشر عبقها وعبيرها، ويفوح شذاها، فتسارع أنوف القلوب تنشق عبيرها، وتعيد الحياة لما كان قد ذبُل من أعشابها، يأتي رمضان.. اقرأ باسم رب، يذكرنا بأيام الله، وشوق رسوله وحنينه لوصال ربه، وكأن آيات القرآن تتنزل من جديد، وكأن جبريل يعاود تدلياته، وكأنه يعاود ما كان قد خاطب به رسولَ الله ﷺ قائلاً لكل آدميّ من ذرية آدم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١)

فإن لكل شـــيء موسماً يزدهر فيــه، وينشــط ويبلــغ أعلى ترقياتــه، وإن موســم تدلي رحمات اللــه وأفضاله وبركاته علــى عبــاده فــي رمضان.

إن معاودة قدوم رمضان هي معاودة تلاقح السماء ذات الرجع مع الأرض ذات الصدع، فتعاود أفضال الله وغيثه وعونه وربوبيته السرمدية التي لا تفتُر ولا تنقطع، فما دامت البشرية في حرقة ومصاعب وآلام، فإن القرآن يتنزل في حُلة جديدة بشفاءٍ لما في الصدور، فيكون بلسماً لحُرقتهم، ومُيسراً لمصاعبهم، ومداوياً لآلامهم وجراحهم، فإن لكل شيء موسماً يزدهر فيه، وينشط ويبلغ أعلى ترقياته، وإن موسم تدلي رحمات الله وأفضاله وبركاته على عباده في رمضان.

ولقد كتب الله تعالى علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا، ولكن بكيفيات مختلفة، وماهيات متباينة، حسب أمراض كل قوم وما يناسبها من دواء، فليس كل مريض يتداوى بدواء واحد، وإنما لكل داء دواء، فمن

يكون في طبعه لين وطراوة، وخنوع وجُبنٌ، ومذلة وخضوع، كان صيامه بالكف عن تناول الخضروات والبقول، ومن كان في طبيعته شدة وقسوة، وعنف وضراوة، كانت المصلحة تقتضي أن يكون صومه في الكف عن تناول اللحوم، ومن كان وسطاً بيْن بيْن، كان صومه عن الصنفين معاً، ولا بأس أن يكون إفطاره عليهما معاً، فإنه في حاجة إلى تنمية الرحمة والمواساة، كما أنه في حاجة إلى إشعال جذوة الحماسة والشجاعة والإقدام في نفسه أيضاً، وكذلك كان الصوم في شريعة الإسلام.

والمتدبر في آيات الصيام في القرآن الكريم، يجد الله تعالى يقول بعدها: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [٢]، مما يوحي أن الصائم لا محالة قد نال شرف العبودية لله، واستنزل عطفه عليه، واستحق استدرار رحماته، ونوال قُربه، والتنعم بجواره.

شرع الله في الشريعة الخاتمة ألاّ يصح الصيام إلا بالامتناع عن المباشرة الجنسية، ليسود شعور بين المؤمنين أن في الامتناع عن مباشرة الزوجة طاعةً لله وامتثالاً لأوامره، فما بالك بالعلاقات المحرمة؟! كذلك فإنه يتخلى كلياً عن الطعام والشراب الذي هو في الأصل من المباحات، ويعاني المخمصة والظمأ رغم توافر تلال من الخبز، وأنهار من ماء زلال.

... الصيام كأنه تدريبٌ على التخلي عن كافة المُتع، الأمر الذى من شأنه أن يجعل الحياة والموت سواء عنده، فما قيمة الحياة عند من كانت الحياة عنده هي مجموع تلك المُتع ثم يُحرم منها جميعاً؟

والحق أن الصيام هو نوع من أنواع التقرب إلى الله فريد في نوعه، فريد في أسلوبه ومنهجه، إذ إنه يصل بالعبد في نهاية المطاف إلى تحقيق غايات العبادات مجتمعة، فغاية العبادات أن يتشبه العبد بربه بصورة ظلية، والحق أن الصيام يصل بالمرء إلى تلك النتيجة تماماً، إذ إنه بامتناعه عن الطعام والشراب، فإنه يكون قد شابه ربَّه الذي ليس في حاجة إلى طعام ولا شراب، وفي تخليه عن النوم من أجل التعبد وتلاوة القرآن وقيام الليل والتهجد يكون قد شابه ربه الذي لا ينام، وفي كفِّه عن الغيبة والنميمة ولغو الحديث، فقد شابه ربه الذي لا يتكلم إلا بما هو خير، وفي امتناعه عن مباشرة النساء يكون مشابها لربه الذي ليس له صاحبة.

والمتأمل في فلسفة الصيام يصل إلى نتيجة مبهرة، وهي أن أنواع المُتع الإنسانية العليا التي لا يأباها أحد، ولا يعافها من بني آدم صغير ولا كبير، هي: الطعام، والشراب، والنوم والراحة، والمباشرة الجنسية، وبالتالي فإن الصيام كأنه تدريبٌ على التخلي عن كافة المُتع، الأمر الذي من شأنه أن يجعل الحياة والموت سواء عنده، فما قيمة الحياة عند من كانت الحياة عنده هي مجموع تلك المُتع ثم يُحرم منها جميعاً؟

ومن تعوَّد نوال جميع مراداته يكون تزلزُل أركانه وانهيار بنيانه في حرمانه منها، وفي الحيلولة بينه وبينها. والحق أنه ليس هناك ضمان لدوام النعم، وبحبوحة العيش، فكان لزاماً إقرار شريعة تغرس في أرض النفس أشجار الصبر، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكلَها كل حين، ماؤها اليقين في وعود الله، وتنفُسها رجاؤه، وثمارها الثبات والتحمل وملاقاة

الشدائد بوجه طلق، فيتولد في النفس التعايش مع الأوضاع كافة، فإن كان العيش هنيا لم يأكل من اللحم إلا الكتف، وإن كانت المعيشة ضنكاً ربط على بطنه الحجر.

للفقراء نصيب من أجر الصيام الذي لا يعلمه إلا الله، وهو أنهم لو احتسبوا قلة طعامهم، وجوعَهم صياماً هم به راضون، صابرون عليه محتسبون، غير متضجرين، ولا شاكين، كان لهم من الأجر مثل أجر الصائمين. وكفاهم شرفاً أنهم الغرباء الذين كان منهم الأنبياء وأتباع الأنبياء في الأولى والآخرة، فلقد بدأ الإسلام غريباً بالفقراء، وقد عاد غريباً بالفقراء أتباع الإمام المهديّ والمسيح الموعود عليه السلام، إنهم غرباء لأن مجتمعاتهم غير معنية بهم، لافظة إياهم، مسقطةً لهم من حساباتها، وغرباء بين أهليهم وفي أوطانهم لانقطاعهم عن الدنيا وزهدهم فيها، وغرباء لانقطاعهم من أصولهم وعائلاتهم وانضمامهم لإخوانهم من الغرباء الآخرين في بيعتهم لربهم منخرطين في عائلات ربانية ممتثلين لأمر الله، فيا له من شرفٍ وفضل وأجرٍ ناله الفقراء الغرباء؟!

وغرباء بين أهليهم وفي أوطانهم لانقطاعهم عن الدنيا وزهدهم فيها، وغرباء لانقطاعهم من أصولهم وعائلاتهم وانضمامهم لإخوانهم من الغرباء الآخرين في بيعتهم لربهم منخرطين في عائلات ربانية ممتثلين لأمر الله، فأيّ شرفٍ وأى فضل وأيّ أجرٍ ناله الفقراء الغرباء؟!

الصيام يقدم للأمة التي يعسر عليها أن تتحد فرصة ذهبية للاتحاد في ثلاثين يوماً نتفق جميعاً على صيامها، فهي عبادة جماعية تهيئ لاستجابة الدعوات، وسماع الاستغاثات، والإنصات للتلهفات، وتنزل الرحمات من السماوات.

إن كان الصيام معاناةً ومتاعب، ومشقات ومصاعب، وحرماناً وآلاماً، فقد حُفّت الجنة بالمكاره، ولو لم تتصدع الأرض من الجفاف والظمأ لما أنزل عليها الله ماء السماء، ولو لم يكن القوم في ضلال وتيه ما أرسل إليهم هادياً رسولاً. ولا يبادر الزراع بسقي زروعهم إلا إذا ظهرت عليها آثار العطش والذبول، وما لم يتحمل الإنسان المتاعب والحرمان فلا يمكن أن ينزل عليه كلام الله، ولا تمسه أفضاله، ولا يجد ريح بركاته.

لم يذهب محمد ﷺ إلى غار حراء متأملاً، ليس معه إلا ما يسد الرمق من الطعام كأنه في صيام إلا بعدما استبد به عدم الرضا عن الدنيا وشرورها، وتردّيها وآثامها، فجدَّ في البحث عن ربه، واستبد به شوقه إليه، فاجتمع في قلبه لهيبان: لهيب رغبة شديدة في الإصلاح، ولهيب شوق إلى حبيب يستشعره قريباً، وتود أن تراه عيناه، وتسمعه أذناه، ويرتاح لقربه فؤاده، وتأنس به نفسه، فتزول وحشتها

فها هي فرصتنا تتكرر كل عام، فيأتينا رمضان، ربيع وحي السماء، ليكون كل منزل من منازلنا حراء، ويكون كل منا محمداً، وينزل على كل منا جبريل قائلاً له: «اقرأ باسم ربك الذي خلق».

١. (العلق: ٢-٦) ٢. (البقرة: ١٨٧)

حاجتنا إلى الطعام، وفلسفة الغذاء والصيام

سامح مصطفى

وجبة خفيفة على سبيل التمهيد للفكرة

تعد قضية الغذاء من أهم القضايا المتشعبة والمؤثرة في جل جوانب الحياة المخلوقة والمبثوثة في أرجاء الكون، ما علمنا منها وما لم نعلم. فبسبب الغذاء فنت أمم وقامت أمم، وبحثا عن الغذاء وفرارا من جحيم المجاعات توالت هجرات، ونشبت حروب وأبرمت اتفاقيات، فمن منا لم يسمع بحروب التوابل التي دارت رحاها في مشرق العالم بين القوى الأوروبية؟! كالحرب التي نشبت بين بريطانيا وهولندا، وكان مبدؤها ثمار «جوزة الطيب». وقبل هذا وذاك، تخبرنا النقوش البدائية للبشر الأوائل على جدران الكهوف أن الغذاء كان الرسام البارع الذي رسم أنماط الحياة على هذا الكوكب، وحدد حِرَفًا ووظائف امتهنتها البشرية حتى قبل أن ترتقي إلى مستوى الإنسانية. منذ أن كانت البداية بحرفة الجمع والالتقاط، فحرفة الصيد، ثم الرعي، إلى أن وصل بالإنسان الحال إلى احتراف الزراعة لإنتاج غذائه.

لقد كان الغذاء عاملا أساسيا في تحويل البشر من مجرد كائنات باحثة عن الغذاء جمعًا للثمار واصطيادًا للحيوانات البرية، إلى أناسٍ منتجين للغذاء رعيًا واستيلادا للحيوانات المستأنسة وأخيرا بالزراعة لإنتاج غذاء يبقي على حياة الإنسان وما يربيه من حيوانات.

كل ما سبق معروف الآن بداهة، ولكن إذا ما نظرنا في عمق المسألة وجدنا أن النقطة الفاصلة التي عندها ارتقى البشر، من مجرد كائنات همجية لا تختلف كثيرا عن وحوش البراري إلا في استواء القامة، إلى درجة الإنسانية، تلك النقطة كانت مرتبطة بالغذاء ارتباطا وثيقا، فخلال الفترة الزمنية التي ربما تقدر بآلاف إن لم نقل ملايين السنين والتي احترف فيها البشر حرفة جمع والتقاط الثمار البرية ثم حرفة صيد الحيوانات البرية، لم يكن

الكائن البشري يتعدى كونه كائنا همجيا باحثا عن غذائه تحدوه غريزة حب البقاء، غير أن الحال أخذت في التغير حين بدأ ذلك الكائن ينتج غذاءه (بشكل ما) بعد التخلي عن الحياة البرية شيئا فشيئا باستئناس الحيوانات ثم الزراعة والارتباط بالأرض. من هنا أخذت ملامح الإنسانية في الظهور والوضوح، بما يرافقها من ظهور وسائل التعايش بين الأفراد ضمن مجتمع منظم، كاللغة ثم القوانين المنظمة وغير ذلك.. المهم أن البداية كانت بالغذاء.

والإنسان دون باقي المخلوقات هو المخلوق الوحيد الذي يصنع غذاءه بشكل عقلي لا غريزي. وقد أصبحت الفرضية القائلة بأن الطهي أوصلنا إلى الإنسان الحالي أكثر قبولا في الأوساط العلمية هذه الأيام.

.... الإنسان لم يخلق مجرد آكل، وإنما أيضا خُلِق مختارا ما يأكله وكيف يأكله. وكلما ازدادت عملية الاختيار تلك وضوحا كلما ارتقت الإنسانية بوجه عام على سلم التحضر السلوكي، وقد بلغ هذا التحضر أوجه بمبعث الإنسان الكامل، وتنزل الشريعة الكاملة التي وضحت ما يليق أكله وما لا يليــق، ومتى وكيف أيضا يمكن أكل ما يليق.

أولى الحاجات الأربع

الغذاء كان وسيظل أول الأشياء التي يتسبب نقصها في قض مضجع الإنسانية في هذا العالم، وبما أن الله عز وجل هو الأعلم بالفطرة الإنسانية وما يقلقها وما يطمئنها، فقد جاءت الطمأنة الإلهية لنوع الإنسان في الحقبة المبكرة مشيرة إلى توفر الحد الأدنى اللازم للبقاء والعيش الكريم، بما يشبع الحاجات الأربع الأساسية اللازمة لوجود الحياة في أية بيئة من البيئات، وتلك الحاجات الأربع هي: (الحاجة إلى: ١. الغذاء ٢. الماء ٣. الملبس ٤. المسكن) فيقول تعالى مخاطبا الإنسان الأول:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ (١)

كذلك كان الغذاء في ترتيب الأولويات هو الحاجة الأولى بالإشباع حتى من الحاجة إلى الأمن، حيث إن نقص الغذاء وما يترتب عليه من حالة الجوع في أي مجتمع يؤدي إلى فقدان حالة الأمن وانتشار الخوف، ولهذا يشير الامتنان الرباني إلى نعمة الإطعام من الجوع أولا، ثم المؤامنة من الخوف، فيقول تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٢)

فلماذا إذًا كل هذه الأهمية لموضوع الغذاء؟! يبدو أن الأمر يتعدى مجرد كون الغذاء سببا في بقاء النفس والنوع، بل إن للغذاء فلسفة من العمق والسمو بحيث إن الجنة نفسها ما كانت لتكتسب ملامحها المميزة لولا توافر عنصر الغذاء فيها بادئ ذي بدء، ونشير هنا إلى آيتي (طه: ١١٩-١٢٠)، وهذا ما نحاول سبره في هذا المقال.

أيها المخلوق، ماذا تأكل؟!

غير خاف الآن عن العامة ناهيك عن خواص المثقفين مدى تأثير نوعية الغذاء وطريقته في طبيعة

المخلوق المتغذي، حتى إننا نسمع كثيرا في هذه الأيام عبارات ذات معنى ومغزى عميق مثل «قل لي ماذا تأكل، أقل لك من أنت». وإن أنماط الحياة على كوكبنا محدودة بأنماط الغذاء، وقد هدى الخلاق العليم كل نمط حيوي إلى نمط غذائه الذي يضمن بقاءه واستمراريته.

وقد بلغ موضوع نوعية الغذاء وطريقة التغذية مبلغا عظيما، وكان من الأهمية بحيث كان من الموضوعات المطروحة على مائدة التحليل والتحريم، كما لو أن الإنسان لم يخلق مجرد آكل، وإنما أيضا خُلِق مختارا ما يأكله وكيف يأكله. وكلما ازدادت عملية الاختيار تلك وضوحا ارتقت الإنسانية بوجه عام على سلم التحضر السلوكي، وقد بلغ هذا التحضر أوجه بمبعث الإنسان الكامل، وتنزل الشريعة الكاملة التي وضحت ما يليق أكله وما لا يليق، ومتى وكيف أيضا يمكن أكل ما يليق. لقد بلغ الأمر من الأهمية بحيث نزلت سورة مباركة تحمل اسم «المائدة»، المطلع عليها يلمح إشارات عدة لموضوع الغذاء في مناسبات مختلفة.

باختصار، فإن نوعية الغذاء وطريقته يُعدَّان محددين رئيسيين لشخصية المتغذّي وطِباعه وأخلاقه. ولحضرة المسيح الموعود عليه السلام كلام مسهب في هذه القضية، نعرض إلى شيء من مقتبساته يقول: « تثبت لنا التجارب أن الأغذية المتنوعة تؤثّر أيضا في الوظائف الفكرية والقوى النفسية دون شك. انظروا مثلا إلى الذين لا يأكلون اللحوم أبدا.. كيف تضمحل فيهم قوة الشجاعة شيئا فشيئا حتى إنهم يصبحون جبناء للغاية، وهكذا يفقدون قوة محمودة هي إحدى مواهب الرحمن! ونجد على ذلك شاهدا آخر من السُنة الإلهية الجارية في الحيوانات التي تقتات على الأعشاب، إذ لا يوجد من بينها حيوان واحد له مِثلُ شجاعة الحيوان الذي يتغذى باللحوم. وهذا هو المشاهَد أيضا في الطيور. فلا شك إذًا أن الأغذية تؤثر في الأخلاق تأثيرا عظيما» [٣]، وهذا الأمر بات من المسلم به علميا وطبيا في هذا العصر، وإن لم تتخذ الإنسانية بعد منهجا قويما في تحديد ما يليق أكله وما لا يليق، ولكنها لا محالة ستدرك شيئا فشيئا ذلك المنهج حين تتخذ الطريق الوسط، والمُبين في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [٤].

فإن نوعية الغذاء وطريقته يُعَدَّانِ محددين رئيسيين لشخصية المتغذّي وطِباعه وأخلاقه، ولحضرة المسيح الموعود عليه السلام كلام مسهب في هذه القضية ....

صفة الصمدية.. تَنَزُّهُ الخالق واحتياج المخلوق

لقد مثلت الحاجة إلى الغذاء أحد الفوارق المميزة بين الخالق والمخلوق، والتي باستطاعة الإنسان المتفكر اكتشافها بكل سهولة، فما إن تطرأ على المرء حالة الجوع حتى يدرك مدى عجزه واحتياجه إلى الطعام، وكلما ازدادت وطأة الجوع يضطر المرء إلى تقبل أحقر أنواع الأطعمة وأبخسها قيمة إبقاءً على رمق حياته. الحق أن وراء هذا المشهد حكمة بالغة مفادها أن الحاجة إلى الغذاء تثبت ضعف المحتاج، وبالتالي فأنى يمكن له أن يُدْعى إلها؟! ولهذا السبب نفسه

نجد في القرآن المجيد دليلا عظيما على بساطته، ينفي ألوهية كل من دُعِيَ إلها من دون الله الحق سبحانه وتعالى، في تفنيد واضح لمزاعم ألوهية المسيح بن مريم وأمه (عليهما السلام)، ذلك الدليل هو: أنى للمسيح الناصري أو أمه أن يكونا إلهين مع حاجتهما الدائمة إلى الطعام؟! تلك الحاجة التي ربما اضطرتهما في بعض الأحيان إلى تناول طعام زهيد القيمة. أفلا يدرك كل متفكر عجز من يلجأ لبقائه إلى ما هو أدنى منه قيمة؟! وهذه حال جميع المخلوقات على إطلاقها بلا استثناء..

لقد ورد فعل الأكل في القرآن المجيد ٥ مرات في معرض التمييز بين مقامي الألوهية والعبودية، منها ثلاث مرات بيان إلهي واضح، ومرتان حكاية عن بعض الخلق. فحين يميز تعالى بين الألوهية والعبودية يقول عز وجل:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٥)

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٦).

ويقول تعالى أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٧).

وحكاية عن الخلق يقول تعالى:

١. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٨).

٢. ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾(٩).

فعملية الغذاء بشيء من التجريد تعبير عميق عن احتياج كائن معقد التركيب إلى كائن أبسط منه أو أقل تعقيدا بشكل يظهر عجز الكائن المعقد التركيب إلى درجة أن يحتاج إلى ما هو أدنى منه لأجل بقائه.

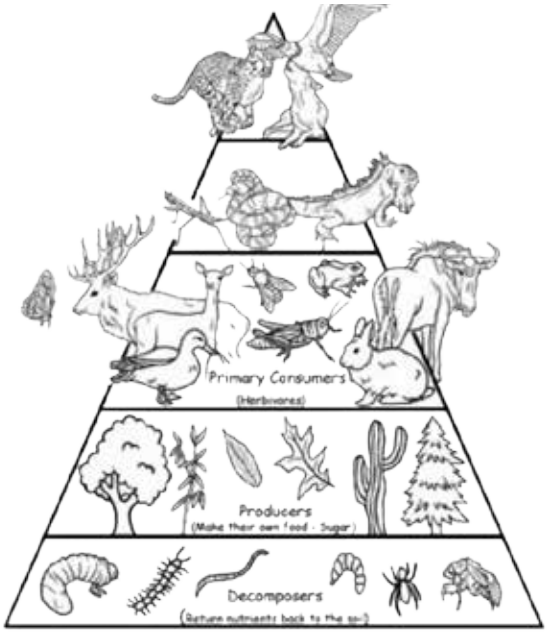

الهرم الغذائي، ومنه يتضح أن بقاء الكائنات الأعلى، ومنها الإنسان، والذي يتحدد مكانه في أعلى الهرم، منوط بوجود كائنات أدنى مكانها قرب قاعدة الهرم.

ومن جانب آخر، وإذا ما أجلنا النظر في صفات البارئ تعالى، نجد ضمن صفاته الحسنى المشهورة صفة «الصمد»، ولا يخفى على أحد من المسلمين ارتباط تلك الصفة بالأحدية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١٠)

لقد ربط سبحانه جل في علاه صفة أحديته بصفة صمديته، وهذا أمر يثير فينا شوقا لاكتشاف دقائق المعرفة هاهنا. على مستوى

التعاملات البشرية، وفي أجواء الحروب بما فيها من غلبة وانهزام، نسمع تعبيرات من قبيل: «صمدت مدينة كذا أمام الحصار»، يفهم الكثيرون من تعبير كهذا أن المدينة المذكورة إنما صمدت لأنها استغنت بما فيها من أقوات وموارد عن أي مدد خارجي لبقائها، ولله المثل الأعلى، إنه عز وجل الصمد، بمعنى أنه تعالى مستغن كل الاستغناء عن كل ما عداه للبقاء، بل إن كل ما عداه محتاج بإلحاح إلى ذلك الصمد المنزه عن الحاجة إلى الأكل والشرب.

إنه عز وجل الصمد، بمعنى أنه تعالى مستغن كل الاستغناء عن كل ما عداه للبقاء، بل إن كل ما عداه محتاج بإلحاح إلى ذلك الصمد المنزه عن الحاجة إلى الأكل والشرب.

الدلالة الصوتية، والقاسم المشترك بين الصمدية والصوم

إذا ما واصلنا التعمق في تأمل صفة «الصمد» كونها أحد أسماء الله الحسنى، ولفظة «الصوم» من حيث إنها تَشَبُّه بـ «الصمد» سبحانه وتعالى، ربما يلفت نظرنا ذلك الجناس الكائن بين لفظتي «صمد» و»صوم»، فكلتا المادتين تشتمل على الحرفين ذاتهما (الصاد) و(الميم) واللذين حرفين أصليين في المادة اللغوية فإنما يفيدان السَّد والامتلاء بصورة ما.. نعلم أن الصوم في أبرز معانيه هو سد جميع منافذ الشهوات لدى الصائم، ولا يكون صومٌ أو صيامٌ بحق دون تحقق هذا المعنى، وما لم يتحقق هذا المعنى، لا يكون ثمة قيمة للامتناع عن الطعام والشراب، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ» (١١)

وبتطبيق نفس المعيار على مادة «ص م د»، نرى أن اجتماع صوتي «ص» و «م» ينتج عنه نفس الدلالة المفهومة من اجتماعهما في مادة «ص و م»، بالإضافة إلى وجود صوت «د» الذي يحمل دلالة جديدة، وهي الدلالة على الدفع الشديد المتوقف، بحيث يشعر المتأمل في صوت «الدال» أنه أمام شيء مصمت (غير أجوف)، فعجبا! أليست هذه الدلالة هي نفسها المفهومة من اجتماع الصاد مع الميم في ألفاظ مثل: أصم وصماء؟! نقول: صخرة صماء، أي مصمتة لا فروج فيها.

لقد أصبحت دلالة الصوم والصيام الآن أكثر اتضاحا، فحبذا لو تم توظيف تلك الدلالة في سبيل التشبه أكثر بالله تعالى على نحو ظلي، فسبحانه وتعالى أن يكون له شبيه على وجه الحقيقة، ولكن المشابهة الظلية هي جوهر العبادة، وهذا بالضبط ما يُفهَم من الحديث النبوي القائل: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» (١٢)، والمفهوم بالطبع أن آدم مخلوق على صورة الله تعالى الظلية، فهو متخلق بصفاته تعالى على نحو ظلي.

١. (طه: ١١٩-١٢٠) ٢. (قريش: ٤-٥)
٣. حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام، فلسفة تعاليم الاسلام، الترجمة العربية، ص٩، الطبعة الثالثة ٢٠١١م
٤. (الأعراف:٣٢) ٥. (المائدة: ٧٦)
٦. (الأنبياء: ٩) ٧. (الفرقان: ٢١)
٨. (المؤمنون: ٣٤) ٩. (الفرقان: ٨)
١٠. (الإخلاص: ٢-٥)
١١. (سنن ابن ماجه، كتاب الصيام)
١٢. (صحيح البخاري، كتاب الاستئذان)

سِيرَةُ المَهدِي

الجزء الثاني (ح ١٦)

تنشر أسرة "التقوى" عبر حلقات هذا الكتاب القيم الذي جُمعت فيه بعض أحوال وسوانح وأخلاق سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني المسيح الموعود والإمام المهدي عليه الصلاة السلام.

وقد قام بهذا العمل القيم نجل حضرته مرزا بشير أحمد رضي الله عنه.

تعريب الداعية: محمد طاهر نديم

تساهل حضرته في أموره اليومية الشخصية [١]

٣٧٨- بسم الله الرحمن الرحيم. حدثني الدكتور مير محمد إسماعيل وقال: كان المسيح الموعود عليه السلام في أعماله اليومية متساهلا للغاية، حتى أنه كان أحيانًا يلبس الجَوْرَبَ مقلوبًا بحيث يصبح الكعب إلى أعلى القدم بدلا من أن يكون إلى أخمصها، وأحيانًا كان يوثق الزر في غير عروته، وحتى إذا ما أهدى إليه أحد الإخوة حذاءً من نوع «غرغابي» [٢] فكان أحيانًا ينتعل فردتيه بالعكس، مما كان يسبب له شيئا من الأذى، ولأجل ذلك كان يفضل الحذاء التقليدي. وكذلك كان حاله عند تناول الطعام. كان حضرته يقول: إذا وقعت بين أضراسي حصاة صغيرة، عندها أدرك ماذا آكل.

الحذاء التقليدي الشائع في شبه القارة الهندية، والذي يطلق عليه اسم «الخُصَّة» حيث لا يزال يُنتعل في مناسبات خاصة، ويُلاحظ أنه لا تتميز فردته اليمنى عن اليسرى. وقد أخذت الأحذية الحديثة والتي عرفت باسم «غرغابي» تحل محله فيما بعد. «التقوى»

(١) العناوين الجانبية من إضافة هيئة مجلة «التقوى»

(٢) اشتهر هذا النوع الحديث من الأحذية في شبه القارة الهندية، وتتميز فردتاه عن الأخرى نوعا ما، ولكن يصعب التمييز بينهما أيضا من النظرة الأولى. أما الحذاء التقليدي فلا فرق فيه بين اليمنى واليسرى. لمزيد من الشرح يمكن مراجعة الرواية رقم ٨٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب. كما كان حضرته دائم التفكير في شتى المواضيع الهامة ولأجل ذلك لم يكنّ يولي اهتمامًا كثيرا للأكل والشرب والملبس وغيرها. (المترجم)

التقوي باحتساء اللبن

٣٧٩- بسم الله الرحمن الرحيم.
حدثني الدكتور مير محمد إسماعيل وقال: كان المسيح الموعود عليه السلام قد مَرِضَ بالإسهال لسنوات قبل وفاته، حتى إنه توفي متأثرا بهذا المرض. وقد لوحظ مرارا أن حضرته كان يشعر بعد قضاء حاجته بضعف شديد، لذا كان يحتسي كأسًا من اللبن.

تقدير وحب حضرته للقائمين بالمهمات الدينية

٣٨٠- بسم الله الرحمن الرحيم.
حدثني الدكتور مير محمد إسماعيل وقال: كان المولوي محمد علي، قبل زواجه وتأمين البيت له، يقيم في جزء من الطابق العلوي من بيت المسيح الموعود عليه السلام، كان حضرته عليه السلام يوليه عناية خاصة، حتى أنه كان يرسل إليه كأسًا من اللبن كل صباح، ويُحلّيه بيده بسكر العنب.
أقول: كان من خُلُق حضرته حسن الضيافة وإكرام الوفادة، لاسيما من كانوا يضطلعون بالمَهمَّات الدينية، فكان حضرته ينظر إليهم بعين التقدير والحب البالغين.

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني وعن يمينه نجله حضرة المصلح الموعود. ويبدو في الصورة المسيح الموعود منتعلا الحذاء التقليدي الشائع في شبه القارة الهندية آنذاك قبل أن تأخذ الأنماط الحديثة للأحذية والأزياء في الانتشار، كالحذاء من نوع «غرغابي» مثلا.

ضرورة العمل برخصة الإفطار في السفر

٣٨١- بسم الله الرحمن الرحيم.
أخبرني الدكتور مير محمد إسماعيل أنه قد حضر إلى قاديان ذات مرة بعض الإخوة في شهر رمضان قادمين من لاهور ، فأُخبر المسيح الموعود عليه السلام، فجاء للقائهم في المسجد حاملاً الطعام لهم، فقالوا: إننا صائمون، فقال عليه السلام: لا يجوز الصوم في السفر، بل يجب العمل برخصة الله، فأمرهم بالإفطار فأفطروا.

كنز المعلومات الدينية

إعداد الداعية: محمد أحمد نعيم

عهد سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والمهدي المعهود

س: متى أعلن عليه السلام عن استعداده لأخذ البيعة بأمر من الله عز وجل وكيف حدث ذلك؟

ج: عندما ألّف عليه السلام كتابه التاريخي المسمى «البراهين الأحمدية» واطّلع عليه علماء العصر وما فيه من التحدي أبدى الكثير منهم رغبتَهم في أن يبايعوا على يده بصفته إمام هذا الزمان، حتى أن سيدنا نور الدين رضي الله عنه حين قابله أول مرة عام ١٨٨٥م سأله أن يبايعه لكنه عليه السلام كان يقول للجميع: لم أُومر بذلك من الله عز وجل.

وقد كتب عليه السلام في نهاية الإعلان الذي نشره عند وفاة ابنه بشير الأول في ١٨٨٨/١٢/١م بعنوان «التبليغ» ما يلي:

«بهذه المناسبة أُوصل رسالة أخرى لخلق الله عامة وإخوتي المسلمين خاصة بأنني أُمرت أن آخذ بيعة طالبي الحق ليتمتعوا بالإيمان الصادق والطهارة الإيمانية الحقة ولمعرفة حب المولى وهجران العِيشة الخبيثة وترك حياة الكسالى والغدِرين، فالذين يجدون في نفوسهم هذه القدرة لِحدٍّ ما، فمن اللازم عليهم أن يتوجهوا إليّ، فلسوف أواسيهم وأسعى لأخفف عنهم إصرهم ولسوف يبارك الله في دعائي والتفاتي إليهم بشرط أن يكونوا مستعدين من أعماق قلوبهم لتحقيق الشروط الربانية؛ هذا ما أمرني

ربي وأوصلتُه لكم اليوم، وما أوحي إليّ في ذلك باللغة العربية هو «إذا عزمتَ فتوكّلْ على الله. واصنع الفُلْك بأعيننا ووحْينا، الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، والسلام على من اتبع الهدى»

المبلّغ
العبد المتواضع
غلام أحمد عُفِي عنه
١٨٨٨/١٢/١م

س: ماذا اشترط عليه السلام على من يرغب في مبايعته والانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، ومتى كان ذلك؟

ج: في التاسع من جمادى الأولى عام ١٣٠٦ الهجري الموافق ١٨٨٩/١/١٢ الميلادي؛ أعلن عن شروط البيعة والانضمام إلى الجماعة المباركة التي أمره الله تعالى بإنشائها. وقد بيّنها في إعلان «تكميل التبليغ» الذي جاء فيه:

كل من يرغب في عهد البيعة فعليه أن يعقد العزم على ما يلي:

أولا: أن يجتنب الشرك حتى الممات.

ثانيا: ألا يقرب الزنا، ويجتنب قول الزور وخيانة الأعين، ويحترز من جميع أنواع الفسق والفجور والظلم والخيانة. ويتنكب عن طرق البغي والفساد. ولا يدع الثوائر النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويا وهاما.

ثالثا: أن يواظب على الصلوات الخمس بالالتزام تبعا لأوامر الله تعالى وتعاليم رسوله الكريم ﷺ. ويداوم جهد المستطاع على إقامة صلاة التهجد، والصلاة على النبي ﷺ، وطلب العفو من ربه على ذنوبه والاستغفار. ويذكر كل يوم نعم الله ومننه بخلوص قلبه، ثم يشكره عليها، ويتخذ من حمده والثناء عليه وِردا له.

رابعا: ألا يؤذي أحدا من خلق الله عموما.. والمسلمين خصوصا.. بثوائره النفسية، لا بيده.. ولا بلسانه.. ولا بأي طريق آخر.

خامسا: أن يكون مخلصا لله تعالى وراضيا بقضائه في جميع الأحوال: حالة الترح والفرح، والعسر واليسر، والضنك والنعم. ويكون مستعدا لقبول كل ذلة وهوان، وتحمل كل مشقة وعناء في سبيله تعالى، ولا يعرض عنه عند حلول مصيبة أو نزول بلية، بل يمشي إليه قدما.

سادسا: أن ينتهي عن اتِّباع التقاليد والعادات الفارغة والأهواء والأماني الكاذبة. ويقبل حكومة القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة. ويتخذ قول الله وقول الرسول ﷺ دستورا لعمله في جميع مناهج حياته.

سابعا: أن يُطلّق الكبر والزهو طلاقا باتّا، ويقضي أيام حياته بالتواضع والخضوع، ويقابل الناس بالبشر، ويعاملهم بالحلم والخلق الحسن.

ثامنا: أن يكون الدين وعزه ومواساة الإسلام.. أعز عنده من نفسه وماله وأولاده ومِنْ كل ما هو عزيز لديه.

تاسعا: أن يواسي جميع خلق الله تعالى، ويعطف عليهم ابتغاء لمرضاته، وينفق.. بقدر الإمكان.. كل ما رزقه الله من القوة والنعم في خير أبناء جنسه ونفعهم.

عاشرا: أن يعقد مع هذا العبد (أي مرزا غلام أحمد القادياني) عهد الأخوة خالصا لوجه الله تعالى.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلاقات الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابة أو صداقة أو عمل.

المَسَاعِي المَشْكُورَةُ

فَضَاءٌ مَفْتُوحٌ نَرَحِّبُ فِيهِ بِالأَقْلَامِ الوَاعِدَةِ
مِنْ دَاخِلِ البَيْتِ الأَحْمَدِيِّ وَخَارِجِهِ

خَوَاطِرُ رَمَضَانِيَّةٌ

(مَجْمُوعَةُ أَقْلَامٍ)

شَهْرُ النُّورِ وَالحُبُورِ

خاطرة: غصون المعضماني

ضيف الرحمن هل وطل، حاملا معه المن والسلوى، ليزيل عنا الهم والبلوى، ويهب لنا النور والتقوى، لنفوز بالقرب والجنة، فإذا بلغت النفوس من المجاهدات العلا، عرجت الروح لتلقى الأنوار عند سدرة المنتهى، في ليلة القدر الكبرى..

ذلك رمضان لمن ذبح البقرة، ونهى النفس عن الهوى، وتقرب لله زلفى، وبسط يديه بالإحسان للإخوة.

أتعرفون رمضان ياسادة ياكرام؟!!

إنه شهر الصيام. ولكن تُرى كيف الصيام؟! أهو مجرد امتناع عن الشراب والطعام كما يظُنُّ العوام؟!! كلا، بل هو تحقيق اثنين من الرمض ليكون رمضان، صوم الجسد عن الماء والطعام وصوم النفس عن المنكر والحرام، بغية رضا الله العلام، الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم مكنون الصدور. سارعوا يا أحبتنا واذبحوا النفس لنيل المرام، ليكن الصوم بالفعل لا بالكلام، فالسدرة لا تنال بالمنى والأحلام، ولكن بالبر والقيام، وإفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، وعون الفقراء والأيتام.

وإذا أمعنا النظر بمعنى رمضان لعرفنا المعاني التي تسمو بالإنسان ففيه تزكية البال وصون المقال وصلة الآل وإصلاح الحال.

وأولى الناس برمضان أولئك الذين آمنوا في وقتين اثنين ترمض فيهما الأنفس، فذاك رمضٌ قبل ١٤ قرنا، وهذا رمضٌ آخر، فذانيك رمضان تمر بهما أمة خير الأنام. فحذارِ يا أتباع الإمام ومسيح الزمان أن يرحل رمضان دون تحقيق الآمال ونوال المراد من رب العباد، فقليل من الرمض يصلح النفس، كما أن قليلاً من الجوع يصلح المعدة، فالنفس إذا سمنت بإشباع الأهواء بعدت عن المبتغى وتثاقلت بالأحمال فيميل بها الحمل، فتخلد إلى الأرض، ثم تهوي في هاوية بئس المآل.

يا إخوتي الكرام، من صام واضعا الله في الحسبان، فكف اللسان وصَمَّ الأذنين وكف العينين، وسد سائر فروجه وحال بين نفسه الأمارة وغذائها من الأهواء والأدران، وخشعت روحه للرحمن، ودخل حضرة الرضوان، ونال البركة تلو البركة من الله المنان، فقد اجتاز فترة تدريبه بالمعسكر الروحاني وخرج من الأيام المعدودات ناهلا من نبع التقى وقد ارتوي وتزوَّد لرحلة عام.

فهذا هو شهر رمضان يا سادة يا كرام، فاغتنموا الفرصة قبل فوات الآوان.

رَمَضَانُ، زِيَارَةُ حَبِيبٍ

خاطرة: عائشة الخليفة

حين يعلمُ الحبيب بمقدِم حبيبه، فإن القلب يزداد خفقانه، وتتسارع نبضاته، والأنفاس تكاد تغوص في صدر صاحبها، ورمضان حبيب للمسلمين الذين يرقبون مقدمه وحلوله كل عام. هو شهرٌ أحبّه الله تعالى، وخصّه بمزيَّة لم يحظَ بها شهر مثله، فحبب خلقه فيه.

وكما أنَّ الفجر لا يرحل إلا ليطلع من جديد، كذلك يعود ربيع قلوبنا ليزهر في رمضان لأنه شهر تنزل فيه البركات بما

يعجز المرء عن إحصائه.

رمضان فرصة للتغيير، وراحة للنفوس والأبدان، فصوموا تصحُّوا.

قال رسول الله ﷺ : الصوم جُنَّةٌ. فلنحرص على أن نكون ربانيين لا رمضانيين، ولنجعل لرمضان فينا أثرا ونصيبا يبقى بعد انتهائه ويستمرّ معنا إلى رمضان تالٍ.

ليتنا ندرك جيدا أنّ الله تعالى كما أنه أكرم الكرام وأرحم الرّاحمين، ويقبل عباده التّائبين، كذلك فإنه سبحانه شديد العقاب يمهل ولا يهمل، فلا داعي لأن نشغل أنفسنا بالثأر والانتقام، ولنغلق في رمضان خرائب أحقادنا، ولنطرق أبواب الرحمة والمودة، فنرحم القريب ونود البعيد ونزرع قفار حنايا قلوبنا، ونضع باقات الزهور على عتبات العالمين.

لنصافح في رمضان أنفسنا، ولنصافح الناس بقلوبنا قبل راحات أيدينا، ولنصالح أنفسنا مبتسمين، ولنصفد جميع الأحزان، ولم لا؟! أولم يُصَفَّد الشيطان؟! ولنطلق طير همومنا بعيدا عنا.

لنعد في رمضان ترتيب ذواتنا، ولنكتشف مواطن الخير داخلنا، ولنهزم نفوسنا الأمّارة بالسّوء، والصيام على هذا المسعى خير معين، وهو مطهرة لأجسامنا وأرواحنا من السموم الضارة.

الصيام أعلى تعبير عن الإرادة، أيّ فعل الحرية.

الصيام فريضة توسّع الصدر وتقوّي الإرادة وتزيل أسباب الهم، وترفع صاحبها درجات عُلا.

فيكبر المرء في عين نفسه، ويصغر حينها كلّ شيء في عينه حالة من السموّ الروحي.. لا يبلغها إلّا من يتأمّل في حكمة الله من وراء هذه الفريضة..الصوم وقاية من النار.

قال ﷺ : «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

فلنحرص على أن يكون هذا الشهر المبارك نقطة محاسبة لأنفسنا ومراجعة لأعمالنا، وتصحيحا لمسار حياتنا.

فُرْصَةٌ جَدِيدَةٌ

خاطرة: ماهر المديني

طالما تساءل الكثيرون عن سر تعظيم الله تعالى لهذا الشهر المبارك هذا التعظيم الكبير.

الجواب نلحظه في اسم ذلك الشهر المبارك (رمضان). فـ«رمضان» مشتق من «الرمض»، و معناه شدة الحر . ففي زمن الجاهلية الأولى، والذي فيه عم الظلم والبغي والفساد، وبات الشرك غالبا على قلوب كثير من الناس، كان هنالك رجل أمي فاضت الرحمة من قلبه وعلى شفتيه، و كان منهمكا مشغولا في التماس السبيل لهداية الناس.

كان قلبه يشتعل حبا لله وللبشرية، وكان يريد إنقاذهم بكل ما أوتي من قوة . فلما رآى الخالق حب هذا الإنسان الكامل للخلق جميعا ولبني نوع الإنسان خصوصا، وحين سمع دعواته وتوسلاته من أجل إنقاذ البشرية، اعتنت رحمة الله تعالى بنزول القرآن في هذا الشهر العظيم، فكان رمضان شهر القرآن، شهر الكتاب المخلص للبشرية من آثامها وسلاسلها وأغلالها.

فهل عسانا ندرك أن هذا الشهر الفضيل ليس مجرد شهر أكل وشرب وتخمة، وليس فسحة تضاع على مشاهدة الأفلام والمسلسلات والخروج إلى المقاهي وقضاء معظم الشهر في لغو القول والفعل؟! إنما هو شهر عبادة وقرب من الخالق تعالى واصطلاء بنار حبه ﷻ، ثم تدلّي ذلك الحب إحسانا إلى الخلق.

إن الصيام في هذا الشهر بالذات جد ضروري لتنوير القلوب وتزكية النفوس. فلم يشرع الله الصيام بغرض أن يجوع الانسان ويظمأ، ولكن ليتغذى ويتزود بالطعام الروحاني الذي هو خير وأبقى، وبالتالي يحصل له أنواع الترقيات الروحانية و التزكيات الربانية.

فشهر رمضان فرصة عظيمة لا ندري أتواتينا العام المقبل أم لا.

س.م. دويدار

صام المقرَّبون الأولون صوما

عرفت الأمم السابقة الصوم، تنسُّكا وتقربا إلى الله تعالى، يقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

وقد ذكر ﷻ نماذج من صوم المقربين ممن سبقونا في الأمم الخالية، فذكر صوم حضرة زكريا وحضرة مريم (عليهما السلام)، فوردت الإشارة تلميحا إلى صوم حضرة زكريا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(٢)، اما صوم حضرة مريم فقد صرَّحت به الآية الكريمة: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾(٣).

ولا شك أن الصوم المذكور في سياق قصتي حضرة زكريا وحضرة مريم البتول (عليهما السلام) لم يكن من قبيل الشعيرة الدينية التي هي فريضة عامة، وإنما كان نسُكا خاصا، خصَّ الله تعالى به هذين الصِّدِّيقَين، وتلخص هذا النُسُك في الانقطاع عن شواغل الحياة، وسد الطرُق الموصلة إلى كل ما خلا الله ﷻ. لم يكن صوم زكريا ومريم إذًا انقطاعا عن أكل وشرب البتة، بدليل أن الآية التي أمرت في آخرها حضرة مريم البتول بالصوم، هي نفسها التي أمرت في أولها بالأكل والشرب كما تشاء: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾(٤).

الأمر إذًا يشتمل على مفارقة ما، فينما أمرت حضرة مريم بالصوم سمح لها بالأكل والشرب، الشيء الذي يتنافى مع معنى الصيام، الذي يُفهَمُ على أنه امتناع عن عدة أمور وممارسات، من ضمنها الأكل والشرب بداهة.

الصوم والصيام والصَّمُّ

من المعروف لغويا أن التغير والزيادة في مبنى اللفظ يصحبه تغير وزيادة في معناه، والصوم لفظ مأخوذ من الجذر اللغوي «ص و م» ويكاد مصنفو المعاجم كلهم يجمعون على مضمون واحد لمعنى الصوم، ألا وهو الامتناع والإمساك عن أي شيء عموما، وعن الأكل والشرب والجماع خصوصا، غير أن هذا المعنى الذي يكاد يكون مُجْمَعًا عليه لا يُدْرَك بوضوح إلا إذا تناولنا قبله بالنظر مادة لغوية أخرى، وتتمثل في الجذر اللغوي «ص م م».

دلالة الجذر «ص م م»

يُلاحظ ذيوع الجذر «ص م م» في العديد من المفردات العربية، ومنها: الصمم، والصمُّ، والتصميم، والصِمَام، وغيرها الكثير..

وجميع المفردات العربية المشتقة من الجذر «ص م م» تشترك في معنى السدّ أو الانسداد أو القطع. فالصَّمَم: انْسِدَادُ الأُذُنِ وثِقَلُ السَّمْعِ(٥). والتَّصْمِيمُ: المُضِيُّ في الأَمر(٦)، أي قطعه، والصمصام: السيف الصارِمُ، أي القاطع لا يَنْثَنِي(٧). وصِمامُ القارُورَةِ وصِمامَتُها وصِمَّتُها، بكَسْرِهِنَّ: سِدادُها.... وحَجَرٌ أَصَمُّ، وصَخْرَةٌ صَمَّاءُ: صُلْبٌ مُصْمَتٌ(٨)، أي لا فروج فيها. وصِمَام القَلْب: جهاز في القلب لتنظيم حركة الدَّم(٩)، والمقصود جريانه في اتجاه واحد.

إذًا، فالصم يعني سد الفروج، وبتعبير آخر سد منافذ الشهوات جميعها، وقطع الصلة بين شيئين، وهذا هو الأصل في الصوم، أي أنه سد لفروج المرء التي هي مداخل الشهوات ومنافذها، وهو أيضا قطع صلة النفس وإمداداتها المتمثلة في غذائها المادي، والذي قوامه الأهواء والنجاسات المادية.

وفي لفظة «الصوم» دَلَّ اجتماعُ صوتَيْ الصاد والميم على سد منافذ الشهوات، وهو جوهر الصوم كما نعرف، كما أن لصوت الواو دلالة على الضم الممتد، الذي يوحي بانطواء الكتلة أو الشيء أو الشفاه على نفسها بشكل مستمر، وهذا الانطواء يضفي طابع السرية على الفعل، بمعنى أن الصوم عبادة لا يطلع عليها إلا الله ﷻ، فعن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»(١٠).

أما الصيام، فيتضح من بناء هذه اللفظة نوع من الممارسة الجماعية، بما تشير إليه ألف المفاعلة في «صيام»، ولمزيد من التفصيل في هذه النقطة، نتناول أمثلة لألفاظ ذات مبان مشابهة، مثل:

قَاتَلَ ← قِتال ← اشترك مع آخرين في فعل القتل

حاصر ← حِصار ← اشترك مع آخرين في فعل الحصر

خَاطَبَ ← خِطاب ← اشترك مع آخرين في فعل الكلام (المخاطبة)

خَاصَمَ ← خِصام ← اشترك مع آخرين في المخاصمة

صاوم ← صيام ← اشترك مع آخرين في فعل الصوم

فَاعَلَ ← فِعال ← تدل ألف المفاعلة على اشتراك أكثر من طرف في أداء الفعل معا.

من خلال البيان السابق تبدو دلالة البنية اللفظية لـ «الصيام» مفيدة لمعنى الممارسة الجماعية للأمة كافة، وحين يوجه المولى الحكيم سبحانه التوجيه إلى الأمة كافة يذكر «الصيام» ولا يذكر «الصوم»، وهذا يلاحظ في السياق القرآني، كما في:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١١)

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ..... ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (١٢)

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ..... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (١٣)

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١٤)

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾(١٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾(١٦)

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾(١٧)

فيما مضى إيراده من آيات كريمة، لا يخفى ما تتضمنه من دلالة الخطاب الموجه إلى الأمة جمعاء، الأمر الذي يعطي لـ «الصيام» مدلولا جماعيا.

الخلاصة

الصوم: هو صَمُّ منافذ الشهوات، أي سدها، وإلى جانب ذلك، فهو ممارسة سرية يقوم بها العبد، ولا يطلع عليها سوى الله ﷻ، الأمر الذي يفسر كون الله تعالى يَجْزِي به، وفي رواية «يُجْزَى به»، أي يكون هو نفسه سبحانه ﷻ جائزة الصائم المخلص المحتسب. أما الصيام فهو التفعيل الجماعي للصوم، بحيث تؤديه الأمة كلها، فتنزل البركات عليها بشكل جماعي ملحوظ، ولا يخفى ما للممارسات التعبدية الجماعية في مكان واحد وزمان واحد من أثر إيجابي بالغ، فصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد، والحج فريضة جماعية في مكان واحد، وهذا أثره يدركه الجميع، فكذلك الصيام، فريضة جماعية في زمان واحد، فلكم أن تتصوروا ما له من بركات.

وكل عام وأنتم بخير.

١. (البقرة ١٨٤) ٢. (آل عمران ٤٢) ٣. (مريم ٢٧) ٤. (مريم ٢٧)
٥. تاج العروس، مادة ص م م ٦. لسان العرب، مادة ص م م
٧. نفس المرجع السابق ٨. القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة ص م م
٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة ص م م
١٠. (صحيح البخاري, كتاب اللباس)
١١. (البقرة ١٨٤) ١٢. (البقرة: ١٨٨) ١٣. (البقرة: ١٩٧)
١٤. (النساء: ٩٣) ١٥. (المائدة: ٩٠) ١٦. (المائدة: ٩٦)
١٧. (المجادلة: ٥)

كُلُّ بَرَكَةٍ

مِنْ مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وسلم

فَتَبَارَكَ مَنْ

عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ

وحي تلقاه سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام

AL-TAQWA

Monthly Islamique Magazine Vol.30 - Issue 2, June 2017

تردد قناة MTA3 العربية (مجال التغطية : منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا)

Satellite	Position	Frequency	Dish Size	Polarisation	Symbol Rate	FEC
Eutelsat - Hotbird 6	13' East	11200 MHz	60 cm	Vertical	27500	5/6
Eutelsat- Eurobird 9	19' East	11919 MHz	-	Vertical	27500	3/4
Eutelsat- Atlantic Bird 4 (NileSat)	7' West	11355 MHz	-	Vertical	27500	3/4